اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

أسلوب القصر في نهج البلاغة
دراسة بلاغية

أطـروحة قدمتها

وردة صالح نغماش الكرعاوي

إلى مجلس كلية الاداب في جامعة الكوفة

وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه

في فلسفة

اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الاستاذ الدكتور عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني

١٤٣٦ هـ ٢٠١٤ م

شكر وتقدير

أتقدم بفائق الشكر والتقدير وموفور الإجلال والعرفان إلى رعاة العلم والعلماء ... جزاهم الله تعالى خير الجزاء ...

- السيد عميد كلية ألآداب الفاضل المحترم :

الأستاذ المساعد الدكتور عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني

- الاستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي المحترم.
- السيد رئيس قسم اللغة العربية:

الأستاذ المساعد الدكتور حسين عبد حسين الوطيفي المحترم.

عرفانا بالفضل .....

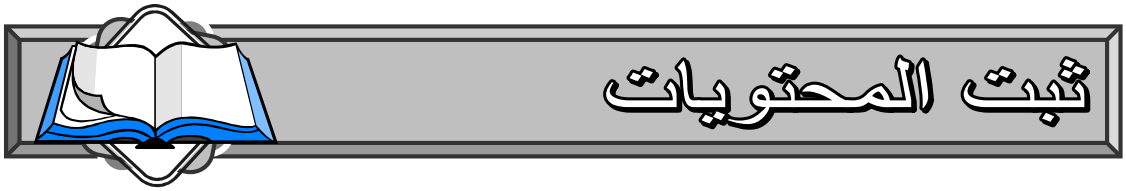

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ – ٤
التمهيد	٥–٤٠
القصر لغة و اصطلاحاً.	٦–١٧
اركان القصر(المقصور والمقصور عليه) في البلاغة.	١٧
أقسام القصر:	١٨
١– تقسيم القصر باعتبار طرفيه:	١٨
أ. قصر الصفة على الموصوف.	١٨
ب. قصر الموصوف على الصفة.	١٨
٢– تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والإضافة:	٢٠
الأول : القصر الحقيقي.	٢٠
الثاني : القصر الإضافي.	٢٠
٣– تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب:	٢١ـ٢٥
الأول : قصر الأفراد.	٢٢
الثاني : قصر القلب.	٢٣
الثالث : قصر التعيين.	٢٣
طرائق القصر :	٢٥
١ـ النفي والإستثناء.	٢٧
٢ـ بـ(إنَّما) و(أنما).	٢٩
٣ـ تقديم ما حقه التأخير .	٣٢
٤ـ العطف(لا، وبل، ولكن).	٣٥
٥ ـ القصر بتعريف الطرفين.	٣٩

الموضوع	الصفحة
٦ـ القصر بضمير الفصل.	٣٩
الفصل الأول : (النفي والإستثناء في نهج البلاغة)	٤٠
١ـ الامور الاعتقادية.	٣٣
٢ـ الامور العبادية.	٤٤
٣ـ ادارة الدولة.	٤٩
٤ـ الامور الاجتماعية.	٥٦
الفصل الثاني : القصر بـ(إنَّما) في نهج البلاغة	
١ـ تقليل الشيء وتحقيره.	٦٢
٢ـ الاقتصار على الشيء.	٦٩
٣ـ رد الشيء الى حقيقته.	٨٦
الفصل الثالث : القصر بـ(تقديم ما حقه التأخير) في نهج البلاغة	٩١
الخاتمة ونتائج البحث	١٠١
ثبت المصادر والمراجع	١٠٦
أولاً : الكتب	١٠٦
ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية	١١٥
ثالثاً : البحوث المنشورة في المجلات	١١٦
الملخص باللغة الإنكليزية	١١٧

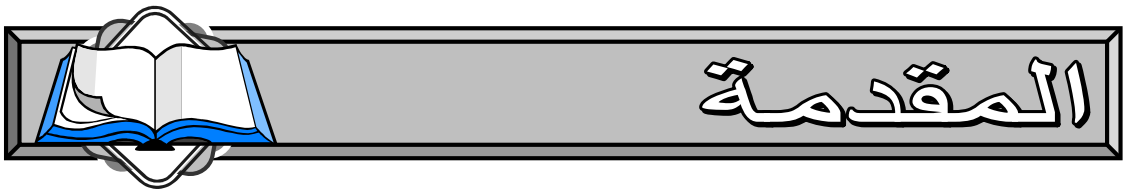

$ # " !

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

وبعد:

فقد كان وما زال التراث الفكري والمعرفي الذي ورثه الخلف عن السلف من أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) نبعاً صافياً ومشرباً سائغاً لكل متذوق يطلب العلم ويسعى اليه، فهم مصابيح الهدى والعلم، استضاءوا بنور القرآن واهتدوا بهديه فجاءت كلماتهم نقية بعيدة الغور في النفوس، تقرؤها فتحس بصدق قائلها وإدراكه لما في الكون من متناقضات، لايدركها غير أصحاب العقول التي اقتربت من بارئها فمنحها حكمة ودراية لم يمنحها لغيرها من البشر.

ومن جميل الكلام الذي وصل إلينا من تراث اهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ، كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي جمعه الشريف الرضي في كتاب سمّاه(نهج البلاغة) الذي اشتمل على خطب ومواعظ ووصايا وحكم وعهود في ميادين الحياة المختلفة: فمن الدعوة إلى التقوى والزهد ، إلى الوعظ والإرشاد، والعبادة والعرفان، والفلسفة، فضلا عن الإخبار بالملاحم والمغيبات مما أطلعه الله تعالى ورسوله الكريم(صلى الله عليه وآله) عليها، إلى عالم السياسة والاجتماع وغيرها من أبواب العلم والمعرفة، في شكل أدبي لا نجد له مثيلا في كلام البشر بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد انفرد كتاب(نهج البلاغة) بسمات منحته سبقا وتقدما على كثير من المصنفات الأخرى، ولا ريب في أنَّ منبع هذا التميّز هو خصائص الشخصية التي أنتجته، فالإمام علي (عليه السلام) وليد الكعبة وربيب النبوة، نهل من معين الرسالة المقدس، وتزود منها ـ فيما تزود ـ بالبلاغة والفصاحة والأدب حتى احتلت أقواله مقاماً سامياً واستحق أن يسمى إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وأصبح هذا

الصرح العلمي الشامخ محطَّ إعجاب الناس في مشارق الأرض ومغاربها، لافرق بين محبٍّ له ومبغض، وما يزال ـ إلى اليوم ـ بحرا متلاطماً، وفضاء رحباً يصعب على الغواص أن يسبر أغواره العميقة، وقد تعددت الدراسات التي دارت حوله للوقوف على اسراره والكشف عن اغراضه ومضامينه، فكان أن ظهرت الشروح والدراسات الموضوعية، والبيانية، والنحوية، واللغوية، والتاريخية، والاجتماعية، وما زال هذا الكتاب قادرا على منح الدارسين والباحثين بعضا من أسراره الدقيقة في مجالات البحث كلها، فهو موسوعة معرفية كبيرة، وهذا ما دفع كثيراً من الدارسين والباحثين الى عدّه تراثا عظيما وثروة ضخمة تضاف إلى ثروات الأمة الإسلامية التي تفتخر بها أمام العالم في كل زمان ومكان، إذ يُعدُّ مصدرا مهماً من المصادر التي يستقي منها المسلمون أهم المبادئ الإسلامية وأكثرها صدقا في التعبير عن حياة الناس.

ولعل من المهم أن نذكر الأهمية العلمية لهذا الأثر العظيم التي كانت إحدى الأسباب التي شجعتنا على دراسة هذا النص، فمما لاشك فيه أنّ الدراسات على اختلاف فروعها إذا كان مجالها التطبيقي نصا بلاغيا مقتدرا مثل (نهج البلاغة) من شأنه أن يرتفع بالذائقة اللغوية والبلاغية التي بدورها سترفع من القدرة الفكرية للباحث.فضلا عن أنّ الدراسات التطبيقية التي تقوم على استقراء النصوص البليغة الموثوق بها التي تصدر عن شخصيات إسلامية فذة ذات فائدة كبيرة للباحثين والقراء، إذ يعيشون مع النص زمنا طويلا أو قصيرا، ومن شأنه أن يمنحهم إشراقات معرفية وحكمية مختلفة فضلا عن الارتقاء بالذائقة اللغوية والبلاغية للدارس.

وهذا البحث المتواضع إحدى المحاولات البسيطة القاصرة التي حاولت أن تقترب بحياء من هذا التراث الأصيل الذي يزخر بالطيب من القول لتستنير بأنوار عباراته وتتنسم عبق الروح المفعمة بالحس الإيماني الذي يقترب من الروح اقتراب الأب الحاني من أولاده القاصرين ليأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب، فهذا إمامنا (عليه السلام) في سيرته وفي نهجه: رجل دين وإصلاح، رجل كفله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واتخذ منه أخا ووزيرا، يرسم لنا بكلامه طريق الصلاح والاستقامة، فطوبى لمن اهتدى بهديهم واتخذ منهم سراجا ينير له دروب الظلام.

وجاء هذا العنوان باقتراح من أستاذي ومعلمي الأستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي ـ مشكورا ـ بعد أن علم برغبتي الشديدة في دراسته، فاختار عنوانا يمثل بابا من أبواب البلاغة هو علم المعاني، وفصلا من فصوله المهمة؛ لما يحتويه من الدقائق والأسرار البلاغية والدلالية وهو (أسلوب القصر) الذي حاولت أن أبحث عن مصاديقه في نهج البلاغة ملتمسة الأسرار البلاغية والدلالية التي يمنحها لهذا المقام أو ذاك، مبينة دواعي الاستعمال في كل عبارة.

وقد اتخذت شرح ابن أبي الحديد مصدرا رئيسا في هذه الدراسة لشهرته واتفاق اغلب الباحثين على انه الأنسب في الدراسات من بين الشروح الأخرى الكثيرة، ثمَّ شرعت ــ بتوفيق من الله تعالى ــ بالدراسة وبدأت بالتمهيد للبحث ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي (للقصر) وذكرت الآراء التي تجد أنَّ القصر والحصر والاختصاص مصطلحات لمعنى واحد، والآراء الأخرى التي تجد اختلافا بينها، انتقلت بعد ذلك إلى بيان نوع القصر بحسب الحقيقة والإضافة، وهو تقسيم راجع إلى اعتقاد المتكلم والى الواقع الخارجي؛ لأنَّ القصر إما أن يكون بحسب الواقع لا يتعداه إلى غيره نحو: لا اله إلا الله، أو أن يكون بالقياس إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه نحو: وما محمد الا رسول، وبيّنت ــ أيضا ــ أنَّ القصر باعتبار حال المخاطب على ثلاثة أنواع: قصر إفراد أو تعيين أو قلب، وفصلت القول في كلٍّ منها في موقعها، ثم ذكرت الطرق التي يتوصل بها إلى القصر، وهي إما أن تكون طرقا مخصوصة عني بها البلاغيون واعتمدوها أو طرقا أخرى غير مخصوصة لم نعنى بدراستها؛ لأنَّنا اكتفينا بدراسة القصر باستعمال الطرق المخصوصة التي نصَّ عليها البلاغيون، ومنها: طريق النفي والاستثناء، وطريق (إنما)، والتقديم والتأخير، ثمَّ قسمت العمل، بحسب معطيات المادة المتوفرة والرؤية التي وجدت أنَّها تناسب المقام والمقال، على ثلاثة فصول ربطت فيها النحو بالبلاغة وفتحت بهما معا بابا للولوج إلى الدلالة، وتوزعت الدراسة على ثلاثة فصول، كان الفصل الأول: القصر بالنفي والاستثناء بوصفه أصل باب القصر، وغالبا ما تُرد الجمل القصرية إلى الاستثناء بالحمل عليه.

أما الفصل الثاني فقد عقد على القصر بـ(إنما) التي استدل البلاغيون على إفادتها القصر لتضمنها معنى (ما)، و(إلا). أما الفصل الثالث فكان في القصر بتقديم ما حقه التأخير بوصفه ظاهرة أسلوبية واضحة في نهج البلاغة، تهدف إلى أغراض دلالية قوامها العدول عن القاعدة المألوفة في التركيب لدواع يتطلبها المقام.

وكان من المقرر أن يكون هناك فصل رابع هو القصر بأدوات العطف التي تفيد القصر، وهي(بل، ولا، ولكن)، غير أنَّ الشواهد التي وردت في نهج البلاغة قليلة لايمكن أن تفي بشروط الفصل فتركنا دراستها هنا، ثم اجملنا اهم النتائج التي توصلنا اليها في خاتمة البحث، وانتهينا بذكر (مكتبة البحث)، بمصادرها ومراجعها.

ومن نافلة القول أن أتوجه بالشكر والامتنان والعرفان إلى الأيدي البيضاء التي مُدت لي طوال مدة الدراسة ـ بفضل الله تعالى ومنه ـ وأخصُّ منهم أستاذي ومعلمي الأستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي، وأُثَني بأستاذي المشرف الذي لم يدخر جهدا في متابعتي طوال مدة الكتابة، وما وجدته من تتبع دقيق في قراءة البحث وتقويمه وتصحيح ما شذَّ منه عن طريق الصواب، والى والديَّ الكريمين اللذين ما زلت أتفيأ ظلالهما وأتنعم بخالص دعائهما، وأتقدم بالامتنان إلى زوجي الذي أكرمني وتجشم معي عناء هذا البحث، والى أولادي(مصطفى، واحمد، وحيدر) الذين منحوني كثيراً من وقتهم.

وآخر دعوانا أن يكون هذا الجهد المتواضع مع ما فيه من الخطأ والزلل بعين الله تعالى مقبولا مرضيا والحمد لله رب العالمين.

الباحثة

مفهوم القصر عند اللغويين والبلاغيين

أولا: القصر لغة

القصر من الأساليب التي عرفها العرب منذ القدم واتخذوه وسيلة من الوسائل التي يعبرون به عن معانيهم، لما يؤديه من دلالات وأبعاد ؛ فهو من الاساليب الغنية بالعبارات الدقيقة، و((فن دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار))[١]، وهو اسلوب شائع في القرآن الكريم، لا تكاد سورة تخلو منه، وان وردت كلمة (قصر) بأكثر من جذر وأعطت أكثر من معنى[٢] منها ـ مثلا ـ معنى الكف في قوله تعالى ﴿ f g h i j k l ﴾[٣]، وبمعنى الأخذ من الطول﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾[٤]، والحبس﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾[٥]، وجاءت بمعنى ما عظم من أصول النخل أو الشجر في قوله تعالى في صفة جهنم﴿ a b c d ﴾[٦]،وبمعنى البيت العظيم الفخم﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[٧].

ثانيا: القصر اصطلاحا.

القصر عند اللغويين.

لمادة قصر عند اللغويين معانٍ كثيرة يدور معظمها بين الحبس والالتزام، وبين اختصاص شيء بشيء فهو عند الخليل((كَفُّكَ نفسَكَ عن شيءٍ

---

١) من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: عبد العزيز عبد المعطي عرفة:٨.

٢) ينظر في هذه المعاني: لسان العرب(قصر).

٣) الأعراف ٢٠٢ .

٤) النساء ١٠١.

٥) الصافات ٤٨.

٦) المرسلات ٣٢.

٧) الحج ٤٥.

وقَصَرْتُ نفسي على كذا أقصِرها قَصْراً))[1] وإذا انتقلنا إلى النحويين فإنَّنا سنجد أنَّ سيبويه النحوي البصري ربما يكون أول من عرض مفهوم القصر من دون أن يصطلح عليه بما عرف بعده وإنَّنا سنلحظ المعنى الذي عرضه في كتابه حين تحدث عن النعت حين قال: ((..ومنه مررت برجل راكع لا ساجد، لإخراج الشك أو لتأكيد العلم ..))[2] ، فهو في كلامه هذا يتحدث عن نوعي القصر المقسمين باعتبار اعتقاد المخاطب التابعين للقصر الإضافي: وهما قصر القلب، وقصر التعيين : ففي المثال المذكور يرى أن السامع متشكك في وصف الرجل بأحد الوصفين، الركوع أو السجود، فأراد للمتكلم أن يزيل الشك والتردد بما يعرف بـ (قصر التعيين) أو أراد للمتكلم أن يصف الرجل بالركوع لا السجود وهذا هو (قصر القلب)، وهذه إحدى طرق القصر وهي طريقة العطف[3]، غير أنَّه لم يذكر من حروف العطف (بل ولكن) اللذين يستعملان في القصر، ولم يشر إلى أنهما يستعملان لهذا الغرض، ولم يشر إلى الدلالة البلاغية التي يؤديها القصر واكتفى بتناولها من وجهة نحوية فقط.

وذكر سيبويه(١٨٠هـ) دلالة القصر بوضوح حين تكلم على (إلاَّ) ودلالتها على إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، قال ((فأما الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحقَ إلاَّ، فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه وذلك قولك (ما أتاني إلاَّ زيد) و (ما لقيتُ إلاَّ زيداً) و (ما مررت إلاَّ بزيد) فأدخلت (إلاَّ) لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولتنفي ما سواها فصارت هذه الأسماء مستثناة)) [4] وهذا هو الاستثناء المفرغ الذي اتفق البلاغيون على أنه من الطرائق التي تفيد القصر.

---

١) كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي: مادة (قصر).

٢) الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون: ١/٤٣٠.

٣) ينظر: فن البلاغة، د. عبد القادر حسين : ١٥٧.

٤) الكتاب: سيبويه، عبد السلام محمد هارون: ١/٤٢٢.

وهو في حديثه هذا ذكر المعنى البلاغي من دون أن يصطلح عليه بالقصر إذ خصّص ما قبل (إلاَّ) بما بعدها ونفى ما سوى ذلك، فضلا عن انه لم يذكر من طرائق القصر إلاَّ (النفي والاستثناء) و(العطف) [١].

ونقل ابن فارس(٣٩٥هـ) حديثا يُنسب إلى الفراء(٢٠٧هـ) أنَّه قال:((إذا قلت: إنما قمت، فقد نفيت عن نفسك كل فعل إلا القيام، وإذا قلت: إنما قام أنا، فانك نفيت القيام عن كل احد وأثبته لنفسك))[٢]، وذكر ما ذهب إليه الفرّاء في قول القائل: ما أنت إلا أخي، وأنَّ المراد به الإفراد، ((كأنّه ادعى أنه أخ ومولى وغير الأخوة، فنفى بذلك ما سواها))[٣]، وكذلك في من قال(إنما أنت أخي)، وأنَّ هذين التعبيرين لا يكونان ابتداء، وإنما ردا على آخر((كأنه ادعى أنّه أخ ومولى وأشياء أخر، فنفاها وأقر له بالإخوة، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيتها كلها ما خلا القيام))[٤].

واتفق معه حين خطّأ من ذهب إلى أنَّ (إنّما) تفيد التحقير ممن استدل بالقول: إنما أنا بشر، يريد بذلك التحقير لنفسه، واستفهم منكرا التحقير فيها بدليل قوله تعالى﴿ K J I H ﴾[٥]، وقال بأنَّ ما ذهب إليه الفرّاء صحيح [٦] وأنَّ حجته هي قول الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله)(إنّما الولاء لمن اعتنق) [٧].

---

١) ينظر: الكتاب: سيبويه، عبد السلام محمد هارون: ٤٢٢/١، وفن البلاغة: ١٥٨-١٥٩.

٢) الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس: تحقيق احمد صقر: ١٣٣.

٣) القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم، رسالة ماجستير:٢٣.

٤) الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس: تحقيق احمد صقر: ١٣٤، وينظر: القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم:٢٣.

٥) النساء١٧١.

٦) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق احمد صقر: ١٣٣-١٣٤، ولم نجد هذا الكلام للفراء في تفسير سورة النساء في كتابه معاني القرآن.

٧) الكافي: ٦ / ١٩٧، وسائل الشيعة: الحر العاملي: باب ان الميراث والولاء لمن اعتق ، رجلا كان المُعتَق أو امرأة:٤٨/٢٣.

والجدير بالذكر أنَّ الفرّاء حين ذكر عبارة(ما أنت إلا أخي) قد ذكر طريقا آخر من طرق القصر وهو النفي والاستثناء، وأنّه حين أشار إلى أنّه لا يكون ابتداء بل ردا على آخر إنما يتحدث عن القصر الإضافي، غير أنّه لم يفرق بين قصر الإفراد وقصر القلب بل جعلهما بمعنى واحد؛ فذهب إلى أنَّ جملة(إنما أنت أخي)، وجملة(ما أنت إلا أخي) يدخل فيهما الإفراد، كأنه ادعى أنه أخ أو مولى، وغير الأخوة فنفى بذلك ما سواها، وقيل في تفسير هاتين الجملتين: أنَّ قوله: ادعى أنه أخ، ومولى هو من قبيل قصر الإفراد، أما قوله: وغير الأخوة، فانه قصر قلب[١].

وذهب ابن دريد(ت ٣٢١هـ) في الجمهرة الى ان قولك ((كان ذلك قصرى وقصاراي))[٢] يعني ما اقتصرت عليه، وان((كل شيء حبسته في شيء فقد قصرته فيه))[٣] ، والى ذلك ذهب الجوهري في الصحاح(ت ٣٩٦هـ) وزاد الأخير معنى الاكتفاء، وعدم المجاوزة الى غير المذكور، قال:((وقصرت الشيء على كذا، لم يجاوز به إلى غيره.))[٤] والى هذا ذهب ابن سيده (٤٥٨هـ)[٥] وأضاف الزمخشري(٥٣٨هـ) في(أساس البلاغة) أن القصر يفيد معنى الاختصار والحبس، إذ قال: خذ مخاصر الطرق ومقاصرها: وهي ما يختصر منها[٦].

وذكر ابن منظور (٧١١هـ) معاني كثيرة لـ(القصر) وأورد له أمثلة كثيرة من الشعر العربي، والحديث النبوي الشريف، منها ما يتصل بالمعنى الاصطلاحي عند البلاغيين كالحبس والالتزام، تقول: قصرت نفسي على الشيء إذا حبستها،

---

١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١٥٧/٢، والقصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم:٢٣.

٢) الجمهرة (ق ص ر).

٣) المصدر نفسه (ق ص ر).

٤) الصحاح: معجم الصحاح: الجوهري، تحقيق خليل مأمون شيحا، مادة (قصر).

٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:ابن سيده، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي: مادة(قصر).

٦) ينظر أساس البلاغة: مادة(قصر).

وقصر عن الشيء عجز عنه ولم يبلغه وبابه (دخل)[١]، ومنها الإيجاز، يقول:((القَصْرُ والقِصَر في كل شيء خلاف الطول))[٢] ويقال((قصر قيد بعره، قصرا))[٣] إذا ضيقه أي: لم يطوله وهو يعطي معنى الإيجاز.

و(قصر) فعل متعد، يقال(قصرت الصلاة قصرا)، من باب قتل، وقد ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى، في قوله تعالى﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾[٤].

وذكر الزبيدي (١٢٠٥هـ) أن القَصر بالفتح والقِصر كعِنب في كل شيء: خلاف الطول وأنهما لغتان فيه[٥]، فضلا عن دلالته على الحبس[٦].

وهناك من استعمل الحصر بمعنى القصر وأشار إلى أنَّ لمادة (حصر) دلالات منها: الضيق والحبس والعي والعجز، وأضاف معاني أخر لاتخرج عن المعنى اللغوي للقصر ؛ إذ ذكر ابن دريد (ت ٣٢١هـ) أنَّ الحصر مصدر حصرت الرجل احصره، واحصره إذا حبسه، وأشار إلى أنَّ أصل الحصر الضيق، وأنَّ الحَصِيرَ بمعنى المحبس[٧]، وهكذا فسره في التنزيل في قوله تعالى﴿ * + , - ﴾[٨].

واستعمل الزمخشري الحصر بمعنى القصر في تفسير قوله تعالى﴿ a k j i h g f e d c b ﴾[٩].

---

١) ينظر: لسان العرب: مادة(قصر).

٢) المصدر نفسه: مادة(قصر).

٣) المصدر نفسه: مادة(قصر).

٤) النساء١٠١.

٥) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مادة(قصر).

٦) ينظر: المصدر نفسه: مادة (قصر).

٧) ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: باب (حصر).

٨) الإسراء٨.

٩) البقرة١١.

مفهوم القصر عند البلاغيين.

ذهب العلوي(٧٠٥هـ) الى أنَّ القصر هو الحصر والاختصاص[١] ، فيما ذهب ابن السبكي(٧٧٣هـ) إلى أنَّ الفرق بينهما أما أن يأتي من جهة قصد المتكلم أو من جهة إرادة العموم أو الخصوص[٢]، فقال فيما نقله عن والده في بحث سمّاه (الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص):((فالاختصاص افتعال من الخصوص، والخصوص مركب من شيئين: أحدهما مشترك بين شيئين أو أشياء، والثاني منضم إليه يفصله عن غيره))[٣] ، وجعل منه قول القائل: ضُرب زيد، فهو أخصّ من مطلق الضرب، لأنّك إذا قلت ضربت زيدا، فإنك قد أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص، وهذا يعني أنَّ الضرب المخبر به خاص لما انضم إليه منك، ومن زيد، وهذه المعاني الثلاثة، هي: مطلق الضرب، ولأنَّه واقع منك، وواقع على (زيد)، فقد يكون المتكلم قاصدا هذه المعاني الثلاثة على السواء، وقد يترجح قصده لبعضها على بعض[٤]، ((ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه؛ فإنَّ الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به، وإنّه الأرجح في غرض المتكلم، فإذا قلت زيدا ضربت، عُلِمَ ان خصوص الضرب على زيد هو المخصوص))[٥].

---

١) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي،:٢/٢١٥ وما بعدها.

٢) ينظر: القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم: رسالة ماجستير، للطالبة نجاح احمد عبد الكريم الظهار، إشراف الدكتور علي محمد حسن العماري، كلية اللغة العربية، فسم الأدب، جامعة أم القرى، مكة المكرمة١٩٨٣م.

٣) شروح التلخيص: حاشية الدسوقي على شرح سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني،١٥٣/٢، وينظر: القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم:١٥

٤) ينظر: القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم:١٥.

٥) شروح التلخيص: حاشية الدسوقي على شرح سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني،١٥٣/٢، وينظر: القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم:١٥.

أما من حيث دلالته على العموم أو الخصوص فقد أشار إلى أنَّ كل مركبٍ من عام وخاص لابد من أن يقصد من جهة عمومه أو من جهة خصوصه، فإذا قصد من جهة خصوصه فهو اختصاص، ولابد من أن يكون هو الأهم عند المتكلم، وهو الذي قصد إفادته للسامع، من دون أن يقصد غيره بنفي أو إثبات، وهذا هو الاختصاص[١]. أما الحصر فقد اشترط فيه وجود النفي والإثبات وذلك بأن يصح تقدير (ما) و(إلا)، قال:((وأما الحصر فمعناه نفي غير المذكور، واثبات المذكور يعبر عنه بما وإلا، أو بانما؛ فإذا قلت: ما ضربت إلا زيدا، كنت نفيت الضرب عن غير زيد وأثبته لزيد))[٢]، وأشار إلى أنَّ هذا المعنى زائد على الاختصاص، واستدل بقوله تعالى﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٣] الذي جعله من الاختصاص لا من الحصر ،لأنَّنا ــ كما يقول ـ لو جعلنا غير دين الله يبغون، في معنى ما يبغون إلا غير دين الله، وهمزة الإنكار داخلة عليه، لزم أن يكون المنكر الحصر، لا مجرد بغيهم غير دين الله، وليس من شك في أنَّ مجرد بغيهم غير دين الله منكر، فيما أجاز الحصر في قوله تعالى﴿ 2 3 4 5 ﴾[٤]، لأن العبادة لا تكون إلا لله، وكذا الاستعانة لا تكون إلا به، وعليه يرى بأنَّ الحصر هنا من خصوص المادة لا من موضوع اللفظ[٥] وأطلق السيوطي(ت٩١١هـ) عليه قصرا وحصرا واختصاصا، وإن كان يرى اختلافا بين

---

١) ينظر: القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم:١٥.

٢) شروح التلخيص: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ١٥٧/٢، وينظر: القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم ١٦.

٣) آل عمران/٨٣.

٤) الفاتحة/٥.

٥) ينظر: عروس الأفراح:١٥٧/٢، والقصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم: رسالة ماجستير: نجاح احمد عبد الكريم الظهار، إشراف: الدكتور علي محمد حسن العماري رسالة ماجستير، جامعة أم القرى: ١٦.١٥.

الحصر ــ الذي عبر عنه بنفي غير المذكور واثبات المذكور ـ والاختصاص الذي يراد منه قصد الخاص من جهة خصوصه[١].

من ذلك يتبين أنَّ الاختصاص عنده يأتي من قصد المتكلم إفادة السامع خصوص شيء من غير تعرض لغيره بنفي أو إثبات، أما الحصر فيشترط فيه النفي والإثبات وهو بذلك يخالف بعض البلاغيين الذين يرون أنَّ الحصر والاختصاص بمعنى واحد، وهذا ما يبدو لنا أيضا؛ إذ ترجح لدينا بعد أن تتبعنا المعنى اللغوي لكل منهما ووجدنا أنَّ علاقتهما وثيقة الصلة بالمعنى الاصطلاحي وأنهما يصدران عن معنى معجمي موحد.

ثم جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) ليظهر على يديه مفهوم (القصر) على نحو جلي؛ إذ تحدث عن(إنما) و(ما وإلا) وعبر عنه بالخبر بالنفي والإثبات وذكر أنَّ الهدف منه هو((اختصاص ما قبل إلا ونفيه عمن عداه))[٢] فضلا عن أنّه فرق بين استعمال(إنما) و(ما وإلا) وذكر أنَّ:

١. إنَّ استعمال (إنّما) لا يتضمن نفيا في حين أنَّ(ما وإلا) بخلافها، قال((ليس كل كلام يصلح فيه(ما) و(إلا) يصلح فيه(إنما)، ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى﴿ ') (* +﴾[٣]، ولا في نحو قولنا(ما احد إلا وهو يقول ذاك)، إذ لو قلت: (إنما مِن إله الله) و(إنما أحد وهو يقول ذاك)، قلت ما لا يكون له معنى))[٤].

٢ـ إنّ الإخبار بـ(إنّما) يأتي لما هو معلوم لدى المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لخبر نازل منزلته، فإذا قلت لرجل:(إنّما هو أخوك)، أو(إنّما هو صاحبك

---

١) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،:٥٢/٢، ومعترك الإقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي نحند البجاوي ١١/٢.

٢) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية والدكتور فايز الداية: ٣٢٨.

٣) آل عمران/٦٢.

٤) دلائل الإعجاز: ٣٢٩.

القديم) فإنّك تقول ذلك لمن يعلمه ويقر به، وإنما قلت له ذلك لتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب[١]، ومثّل الجرجاني له بقول المتنبي(الخفيف)[٢]:

إنّمَا أنْتَ وَالِدٌ وَالأبُ القَا طعُ أحنى من وَاصِلِ الأوْلادِ

فليس مراد الشاعر أن يقول لكافور أنك والد، فليس هو بحاجة إلى إعلامه، وإنما أراد أن يذكره بما هو معلوم لديه ليتوصل إلى استدعاء ما يوجبه على أنه بمنزلة الوالد[٣].

ومثّل الجرجاني لما ينزل منزلة المعلوم لدى المخاطب[٤] بقول عبيد الله بن قيس **الرقيات(الخفيف)**[٥]:

إنَّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللَ ـه ِ تَجَلَّت عَن وَجهِهِ الظَلماءُ

فقد ادعى أنَّ الممدوح يتصف بتلك الصفة،جريا على عادة الشعراء في المدح؛ إذ يصفون ممدوحيهم بأوصاف يدعون أنَّها ثابتة لهم، وأنَّهم قد شُهروا بها، وأنَّهم لم يصفوا إلا بما هو معلوم وظاهر من ممدوحيهم لا ينكره أحد[٦].

أما(لا وإلا) فيأتيان لما ينكره المخاطب ويشك فيه، من ذلك أنَّك إذا رأيت شخصا من بعيد فقلت:(ما هو إلا زيد) فإنَّك إنّما تقول ذلك لمن يتوهم أنَّه ليس بزيد وأنه إنسان آخر، ويجدُّ في الإنكار أن يكون زيدا[٧].

٣ـ وبين أنَّ استعمال(إنما) يفيد إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت (إنما جاءني زيد) فإنّك أردت أن تؤكد مجيء زيد ونفي المجيء عن غيره، وأنَّ ذلك شبيه بقولك(جاءني زيد لا عمرو)، وأنَّ لاستعمال(إنما) مزّيةً وهي أنَّك

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٩.

٢) ينظر: ديوان المتنبي شرح العكبري:٩٩.

٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٠.

٤) ينظر: المصدر نفسه:٣٣١.

٥) البيت في ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم: ٨٧.

٦) ينظر: دلائل الإعجاز:٣٣١.

٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٣.

توجب الفعل لشيء وتنفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة، وليس الأمر كذلك لو استعملت العطف بـ(لا) لأنّك تعلقهما في حالين، وذكر مزّيةً ثانية هي أنَّ(إنّما) تجعل الأمر ظاهرا في أنَّ الذي جاء هو(زيد) ولا يكون الأمر بهذا القدر من الظهور إذا استعملت(لا) فقلت(جاءني زيد لا عمرو)[١].

وتحدث عبد القاهر الجرجاني ـ أيضا ـ عن أمور أخرى كثيرة تتعلق بطرائق القصر، كطريقة العطف بـ(لا)، والتقديم، والنفي والاستثناء، والتعريف، واستطاع أن يكشف عن المعاني الثانوية أو الإضافية التي يؤديها التركيب بحسب ما يقتضيه المقام وما تدعو إليه الحاجة، فضلا عن أنّه فند آراء ومعتقدات يراها خاطئة تتعلق بقضايا اللفظ والمعنى[٢].

ثم جاء السكاكي(ت٦٢٦هـ) فتحدث عن جملة مباحث هذا الباب واستعمل مصطلح (القصر) في كتابه(مفتاح العلوم)، ثمَّ توالت جهود العلماء الذين نقلوا عنه، ومنهم القزويني(ت ٧٣٩هـ هـ) في كتابه(الإيضاح)، وكذا فعل العلوي(٧٠٥هـ) الذي تحدث عن القصر بالنفي والاستثناء وإنما(٣).

ويذكر أنَّ البلاغيين في تعريفهم لـ(القصر) قد اخذوا من المعنى اللغوي ما يفيد الحبس واختصاص شيء بشيء مصطلحا بينهم، فقالوا إنَّ (القصر) هو((تخصيص شيء بشيء بطريق معهود))[٤].

وهم حين اعتمدوا معنى الحبس إنّما أخذوا بأشهر معانيه، وذكروا أنه يعني عدم المجاوزة إلى غير المذكور[٥]، فقالوا إنّه ((جعل بعض أجزاء الكلام

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٣.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٣ وما بعدها الى٣٥٨.

٣) ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي: ٢٨٨ ، والإيضاح: القزويني:٥٩، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة:العلوي:٢/٢١٥ وما بعدها.

٤) المطول في شرح تلخيص المفتاح:٢٠٤.

٥) ينظر: مواهب الفتاح:، وحاشية الدسوقي٢/١٦٦.

مخصوصا بالبعض بحيث لا يتجاوزه، ولا يكون انتسابه إلا إليه بطريق مخصوص))[1].

وقد ذهبوا إلى تقييد (القصر) بالطريق المخصوص ليخرج كل ما أفاد القصر بغير الطرق المخصوصة التي أثبتوها في كتبهم، وهي: التقديم، والعطف، وإنّما، والنفي والاستثناء، وأضاف بعضهم تعريف المسند أو المسند إليه بـ(أل) الجنسية، وتوسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر؛ لأنها وإن أفادت معنى الاختصاص إلا أنّها خارجة عن المفهوم الذي اصطلحوا عليه للقصر[2]، فعلى رأيهم أنَّ قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[3] لم يفد اختصاص شيء بشيء بالطرق المنصوص عليها عندهم، لذا لا يعد قصرا بالمعنى البلاغي[4].

والقصر من طرائق التوكيد في العربية التي يهدف بها المتكلم إلى تثبيت غرضه من الكلام وإزالة ما في نفس المتلقي من شك[5]، فالغرض الذي يؤديه في التركيب ليس غرضا جماليا فحسب،بل غرضا جوهريا مهما، لما له من أثر في تغيير المعنى وتقويته وتأكيده من خلال ما يطرأ على الاسلوب من تغييرات ذات خصوصيات ومزايا تتلاءم والموقف الذي يقتضيه الكلام وأهميته.

ولعلَّ مما يمنح أسلوب القصر أهمية بالغة عند البلاغيين هو دلالته على الإيجاز؛ إذ يرون أن جملة القصر في قوة جملتين: الأولى مثبتة والثانية منفية، أي انها تؤدي معنى جملتين، ولاشك في أنَّ الجملة التي تؤدي هذا المعنى جملة

---

١) المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم :٢١٣/١.

٢) ينظر: علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني: الدكتور بسيوني عبد الفتاح،٧.

٣) البقرة:١٠٥.

٤) ينظر: علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني: ٧.

٥) ينظر: النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي:٢١٠.

فيها إيجاز، لقلة لفظها واتساع معناها، فتداخل النفي والإثبات في الجملة يمنحها تركيزا عاليا لأنّه توكيد فوق توكيد[١].

فضلا عن أنَّ التوكيد الذي يضفيه التضاد على اسلوب القصر يميّزه من التوكيد بـ(إنَّ) مثلا الذي يتحقق بالإثبات فقط، بينما لا يتوقف التضاد في القصر على الجمع بين النفي والإثبات، بل يتعداه إلى تحول علاقة المتكلم بالمتلقي؛ إذ يتحول المتلقي إلى متكلم والمتكلم إلى متلق، لأنَّ القصر لا يكون إلا ردا على كلام سابق من منكر أو متردد[٢].

واتفق النحويون والبلاغيون على إفادة القصر للتوكيد، على أنَّه سمة رئيسة في الجملة التي تبنى عليه، فطريق النفي والاستثناء في قوله تعالى﴿ C D E F ﴾[٣]، يؤكد المعنى المراد تأكيدا حاسما لا يرقى إليه الشك، بخلاف التأكيد بـ(إنَّ) التي تؤكد الكلام إذا كان جوابا عن سؤال أو تزيل إنكار منكر إذا اقترنت بمؤكد آخر. ولا شك في أنَّ وضوح الفرق بين جملة((وما محمد إلا رسول))، وجملة((إنَّ محمدا رسول)) وجملة(إنَّ محمدا لرسول)، فالجملتان الأخيرتان تدلان على تأكيد كلام يقع ابتداء، وكأنّه تكرار الكلام من اجل تأكيده تأكيدا لفظيا يمنع شك المتلقي أو يبعد ظنا لم يظنه ولكن يقصد به التهكم[٤]، وهو توكيد بسيط يسير فهمه، أما اسلوب القصر فيؤدي إلى تأكيد الكلام المبني على موقف مغاير للمتلقي((فيأتي القصر ليجلي الحقيقة على نحو تدريجي يدحض موقف المخاطب، ويثبت في نفسه المعنى المراد، وبخاصة ان المتكلم بطريق

---

١) ينظر حاشية السيالكوتي على كتاب المطول للتفتازاني: عبد الحكيم بن شمس الدين:٣٠٣.

٢) ينظر: تجليات الجمال في اسلوب القصر، الدكتور عبد الرحيم الهيبل ، مجلة الجامعة الاسلامية: المجلد ١٧، العدد٢ ،٢٠١١، ص:٩٧٦.

٣) آل عمران: ١٤٤.

٤) ينظر: دلائل الاعجاز، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية والدكتور فايز الداية: ٣٢٦، وتجليات الجمال في اسلوب القصر، مجلة الجامعة الاسلامية:٩٧٦.

القصر يتجاهل موقف المنكر فلا يذكره نصا بل يدحض مجموعة من المواقف المتغايرة في آن واحد لأكثر من مخاطب))[١].

أركان القصر في البلاغة.

لـ(القصر) ركنان رئيسان، هما: المقصور والمقصور عليه، تربط بينهما طريقة من الطرائق المخصوصة التي نص عليها البلاغيون، ويكون احد الركنين موصوف والآخر صفة نحو: إنّما زيد شاعر.

والمراد من الصفة هي الصفة المعنوية، أي المعنى القائم بغيره لا النعت((والصفة في القصر أعم من الصفة في النحو فهي في القصر المعنى الذي يقوم بغيره، وبعبارة أخرى: هي ما ليس ذاتا، أما الموصوف فهو في الغالب ذات جمادا كان أو نباتا أو حيوانا أو إنسانا وقد يكون الموصوف معنى مثل: ما التفكير إلا نشاط ذهني، وإنما الحب عاطفة))[٢].

ويتحقق القصر في الجملة غالبا،ويتحقق في متعلقاتها ايضا كما هو في القصر بتقديم ما حقه التأخير، قال السيوطي في الاتقان((كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء أكان مفعولا، أم ظرفا، أو جارا، أو مجرورا))[٣].

اقسام القصر في البلاغة.

ينظر في دراسة اسلوب القصر إلى غرض المتكلم من الاختصاص، والى حال المخاطب التي وقف عليها المتكلم، فاختار التخصيص وسيلة للتعبير، وينظر ايضا إلى طرفي القصر أي المقصور والمقصور عليه، ثمَّ إلى طرائق القصر المصطلح عليها عند البلاغيين وما بينها من فروق وما تؤديه من دلالات.

ويقسم القصر باعتبارات مختلفة على أقسام هي:

١. القصر باعتبار طرفيه:

---

١) تجليات الجمال في اسلوب القصر،بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية،:٩٧٦.

٢) البلاغة الاصطلاحية:عبده عبد العزيز قليقلة:٢٣٩.

٣) الإتقان في علوم القرآن:١٥٦/٣.

أ ـ **قصر الصفة على الموصوف:** وتقصر الصفة في هذا القسم قصرا حقيقيا، او اضافيا، فاذا كان القصر حقيقيا فان الصفه تختص بالموصوف ولاتتجاوزه الى غيره، اما اذا كان القصر اضافيا فيمكن ان تتجاوز الصفة الموصوف الى غيره؛ لان الموصوف ـ هنا ـ لابد من ان يتصف بصفات أُخر[١].

ب. **قصر الموصوف على الصفة** : وتقصر الصفة في هذا القسم ايضا قصرا حقيقيا، او اضافيا، وفي القصر الحقيقي يقصر الموصوف على الصفة ولايشاركه فيها احد كما في قولنا: لا اله الا الله، أما اذا كان القصر اضافيا فان الموصوف يتجاوز الصفة الى غيرها وقد يشترك فيها مع غيره غيره فيها[٢].

من هنا نجد أن احدهما يفترق عن الآخر من جهة أن((..... الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة؛ لأنَّ معناه أنَّ هذا الموصوف ليس له غير تلك الصفة، ولكن تلك الصفة يجوز أن تكون حاصلة لموصوف آخر، وفي الثاني تمتنع تلك المشاركة؛ لأنَّ معناه أنَّ تلك الصفة ليست إلا لذلك الموصوف ولا يصح أن تكون لغيره، ولكن يجوز ان يكون لذلك الموصوف صفات أخر))[٣]، ومثال الأول قوله تعالى ﴿ C D E F G H I J K L M N 0 P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` ﴾(٤) بتقديم الموصوف على الصفة، فإنَّه جلَّ وعلا قصر ــ محمدا صلى الله عليه وآله ــ على الرسالة ، فلا يتعدى الرسالة التي من مقتضاها أنَّه بشر ومن مقتضى بشريته أنَّه يموت كغيره فلا يتعدى الرسالة إلى صفة الخلود التي هي من خصائص الله تعالى، ومعلوم أنَّه

---

١) ينظر: أساليب القصر في صحيح مسلم ودلالاتها البلاغية: نعم هاشم خالد، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د غانم سعيد حسن، كلية التربية/ جامعة بابل،٢٠٠٧م: ٧.

٢) ينظر: أساليب القصر في صحيح مسلم ودلالاتها البلاغية:٨.

٣) المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٢٠٥، وأساليب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية:١/٢٧ .

٤) آل عمران ١٤٤.

ليس الرسول الوحيد، بل هناك رسل كثيرون غيره، ولا يراد منه عدم اتصافه بصفة أخرى غير الرسالة؛ لأنَّ ذلك غير ممكن لتعذر الإحاطة بصفات الشيء[١].

ومثال الثاني: (لا اله إلا الله) بقصر صفة الإلوهية على الله عز وجل وحده دون سواه، فالصفة هنا مقصورة عليه وحده، لا تتجاوزه إلى غيره، ولا يمنع هذا أن يتصف الموصوف المقصور عليه بصفات أخرى غير تلك الصفة، ومنه قول الشاعر[٢]:

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني أرى الأرض تبقى والأخلّاء تذهب

بقصر صفة الشكوى على الله ــ عز وجل ــ بحيث لا تجاوزه إلى الناس، وإن كانوا من الأخلّاء، لأنَّ الأخلّاء يفارق بعضهم بعضا[٣].

٢. باعتبار الحقيقة أو الإضافة:

أ . القصر الحقيقي.

ب . القصر الإضافي.

وهو تقسيم راجع إلى اعتقاد المتكلم والى الواقع الخارجي؛ لأنَّ القصر أما أن يكون بحسب الواقع لا يتعداه إلى غيره، نحو: لا إله إلا الله، وأما أن يكون بالقياس إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، نحو قوله تعالى﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[٤]، فصفة التذكر في الحقيقة ثابتة لأصحاب العقول التي تنورت بنور الإيمان محجوبة عن سائر الناس الآخرين[٥]، ويرى السبكي أنَّ الحقيقي هو المقابل للمجاز، وغير الحقيقي(الإضافي) هو المجاز، إذ يقول((....

---

١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي:٨٢/٢.

٢) هو الغطمش بن الأعور، شاعر من الإعراب كان مقيما في الري، ينظر :ديوان الحماسة: النحاس:٣٦٨/١، ومجلة التراث العربي، العدد٦٠، السنة١٥،١٩٩٥.

٣) ينظر: أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني:١٣٩.

٤) البقرة/٢٦٩.

٥) ينظر: معترك الإقران في إعجاز القرآن: السيوطي، تحقيق: علي نحند البجاوي:،١١/١، والمدخل إلى دراسة البلاغة العربية: احمد خليل:٢١٣.

وهو منقسم بالاستقراء إلى قصر حقيقي، وقصر غير حقيقي أي مجازي، واعلم أنَّ القصر الحقيقي ينظم حكمين: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، وكلاهما حقيقة، والقصر المجازي ينظم حكمين: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عن غيره، وهو مجاز))[١].

وهناك من قسم القصر الحقيقي باعتبار التحقق وعدمه على قسمين:

الأول: القصر الحقيقي التحقيقي: ويطلق ذلك إذا كان القصر متحققا في الواقع، كقصر صفة الإلوهية على الله تعالى في قولنا: لا إله إلا الله؛ فالقصر الحقيقي التحقيقي هو((تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة، ونفس الأمر بان لا يتجاوزه إلى غيره أصلا))[٢]، فالنفي يقع على جميع ما عدا المذكور، ولأنَّ الصفة المقصورة متحققة في الواقع سمي تحقيقيا وهو كثير، وقصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا أمر متعذر لتعذر الإحاطة بصفات الشيء[٣].

الثاني: القصر الحقيقي الادعائي ــ المجازي ــ وهو إثبات الصفة للموصوف والحكم على غيره بالعدم على سبيل المبالغة والادعاء، وهو مخالف للواقع لا يمكن أن يتحقق نحو: ما شاعر إلا المتنبي؛ إذ قُصرت صفة الشاعرية على المتنبي وكأنَّ الأرض خلت من الشعراء غيره وهو من باب المبالغة، ويحصل بقصر الموصوف على صفة دون غيرها نحو: ما خالد إلا صادق، مبالغة في مدى صدقه وكأنَّ كلَّ صفة بالنسبة إلى صدقه في حكم العدم، وهو قصر حقيقي؛ لأنَّ النفي وقع على كل ما عدا المذكور، وادعائي لأن ذلك غير متحقق في الواقع بل مخالف له[٤].

٣. القصر باعتبار حال المخاطب:

١ . قصر إفراد.

---

١) عروس الأفراح: ٦٦/٢.

٢) شروح التلخيص: مختصر العلامة سعيد التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني: ١٦٧/٢.

٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٣/١.

٤) ينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية: المعاني ـ البديع ـ البيان، الدكتور عيسى علي العاكوب والأستاذ علي سعد الشتيوي:٢٣٢.

٢ . قصر قلب.

٣ . قصر تعيين.

والملاحظ في هذا القسم الحقيقة، والأمر نفسه مع ملاحظة حال المخاطب فخالفا بذلك القصر الحقيقي الذي يلاحظ فيه الحقيقة والأمر نفسه من دون ملاحظة حال المخاطب؛ ففي قولنا: (ما خالد إلا شاعر)؛ يحتمل أن يكون:

١. المراد هو تخصيص شيء بشيء دون آخر، إذا اعتقد المخاطب وجود شركة موصوف واحد في صفتين(في قصر الموصوف على الصفة)، أو وجود شركة موصوفين أو أكثر في صفة واحدة(في قصر الصفة على الموصوف)، وهذا القسم هو قصر الإفراد، ففي المثال السابق إذا اعتقد المخاطب اشتراك الموصوف في صفتين الأولى بوصفه شاعرا والثانية بوصفه كاتبا مثلا، فيرد بالقصر على اعتقاده هذا بإفراد الموصوف بصفة واحدة، وهي الشاعرية فيقول: ما خالد إلا شاعر، وبذلك قصر زيدا على الشعر ليرد اعتقاده بأنَّ خالدا شاعرٌ وكاتبٌ، هذا في قصر الموصوف على الصفة، أما إذا اعتقد المخاطب اشتراك أكثر من موصوف في صفة واحدة كأن يعتقد بأنَّ محمدا وعليا وخالدا يشتركون في صفة الشعر، فيرد بالقصر على اعتقاده هذا بقصر صفة الشعر على خالد دون غيره، فيقول: ما شاعر إلا خالد، بقصر الصفة على الموصوف، وسمّي هذا القصر قصر إفراد لقطع الشركة بإفراد موصوف بصفة، أو صفة بموصوف[١].

واشترط القزويني أن يكون قصر الإفراد إذا أُريد به قصر الموصوف على الصفة، عدم تنافي الصفات إثباتا ونفيا، ففي جملة: ما خالد إلا شاعر نفي لصفة الرسم مثلا لا لأنَّه غير شاعر ليمنع اعتقاد المخاطب اجتماعهما في خالد[٢] وهذا الشرط يمكن ان ينطبق على قصر الصفة على الموصوف أيضا فهو يعمهما معا، غير أنَّ القزويني اكتفى بذكر الأول، لجريانه في جميع صوره؛

---

١) ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين ابن مالك المشهور بابن الناظم، تحقيق الدكتور حسني عبد الجليل يوسف:٩٤.

٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٤، والكافي في علوم البلاغة العربية:٢٣٤، والقصر واساليبه مع بيان اسرارها في الثلث الاول من القرآن الكريم، نجاح احمد عبد الكريم الظهار، اشراف: الدكتور علي محمد حسن العماري رسالة ماجستير:٣٢.

فالموصوفات متنافية بخلاف قصر الصفة على الموصوف إذ يمكن اتصاف موصوفين أو أكثر في صفة واحدة[١].

ولم يذهب القزويني(٧٣٩هـ) إلى ما ذهب إليه السكاكي(٦٢٦هـ) ، إذ لم يشترط عدم تنافي الصفات، ووافقه سعد الدين التفتازاني(٧٩٢هـ)، وابن يعقوب(١١٦٨هـ)، والدسوقي(١٢٣٠هـ)[٢].

٢ـ وقد يراد به التخصيص بشيء دون غيره، ويأتي لإثبات حكم اعتقد المتلقي خلافه[٣] كأن يعتقد بأن زيدا كاتب لا شاعر، فتأتي الجملة لنفي ما اعتقد واثبات أن خالدا شاعر فيقال: ما خالد إلا شاعر.

وقد اصطلح على هذا النوع من القصر قصر القلب؛ لأنّه يقلب حكم المخاطب ويثبت غيره، وهو يخالف قصر الإفراد، من حيث أنّ فيه قلبا وتبديلا، ولكنّ لبعض الحكم لا كله؛ إذ يكون فيه إثبات بعض ونفي بعض آخر[٤].

واشترط القزويني في هذا النوع تحقق تنافي الوصفين؛ فإذا أثبتت صفة ما لموصوف دل ذلك على انتفاء غيرها[٥]، ومنه قوله تعالى﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن à إِلَّآ â وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٦]، فهم يعتقدون بأنّهم يقضون على القرآن حين ينهون الناس عن الاستماع له؛ لئلا يقع في قلوبهم صحته كما روي عن ابن عباس غير أنهم في الواقع إنما يهلكون أنفسهم بنهيهم عن قبوله، وبعدهم عنه[٧].

---

١) ينظر: عقود الجمان في علم المعاني والبيان: جلال الدين السيوطي: ١٥٨.

٢) ينظر: مفتاح العلوم : ١٢٩/١، مختصر المعاني: سعد الدين التفتازاني: ١٣/٢، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ١٨٤/٢.

٣) ينظر: شروح التلخيص: مختصر المعاني: ١٨٠/٢.

٤) ينظر: شروح التلخيص: شرح الدسوقي:١٨٠، و القصر وأساليبه مع بيان أسراره في الثلث الأول من القرآن الكريم، رسالة ماجستير:٣٣.

٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني:٥٩.

٦) الأنعام/٢٦

٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ ابو علي الفضل بن حسن الطبرسي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي:٢٦.٢٥/٤.

٣ـ وقد يكون المخاطب مترددا في الحكم بين المقصور وغيره بسبب تساوي الأمرين عنده، من دون قرينة تعين على ترجيح أحدهما على الآخر،((كأنَّ السامع هنا خالي الذهن، لا يعرف عما سيلقيه عليه المتكلم شيئا، فالمخاطب بقولنا: ما زيد إلا قائم، هو من يعتقد انه إما قائم، وإما قاعد، من غير علم بالتعيين))[١]؛ لذا فهو يعين ما هو غير معين لدى المخاطب.

وقد اختلف البلاغيون في هذا القسم: فمنهم من ذهب إلى أنّه يشكل قسما ثالثا مع قصر الإفراد والقلب، ومنهم من ذهب إلى أنّه يندرج تحت قصر الإفراد؛ لأن الإفراد هو قطع للشركة الاعتقادية أو الاحتمالية[٢].

فلم ينص عليه عبد القاهر الجرجاني ولكنه ألمح إليه حين قال:((إذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم انه ليس بزيد، وانه إنسان آخر ويجد في الإنكار ان يكون زيدا)) ثم لخص ذلك بقوله((وبالجملة: النفي لا يجيء لمعلوم إلا لمعنى صار به في حكم المشكوك فيه ..... ونحو وما أنت إلا نذير))[٣].

أما الخطيب القزويني فقد صرح بوجود قسم ثالث، هو قصر التعيين، قال: ((وأما من تساوى الأمران عنده أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني وهذا يسمى قصر تعيين))[٤]، وذهب إلى أنَّ قصر التعيين أعم من قصر الإفراد والقلب((لان اعتقاد كون الشيء موصوفا بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معا ولا امتناعه))[٥].

---

١) المختصر، لسعد الدين التفتازاني ضمن شروح التلخيص: ١٨١/٢.

٢) ينظر: مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي تحقيق، الدكتور عبد الحميد هنداوي: ١٦٠. ١٦١، وشروح التلخيص: حاشية الدسوقي:١٨٢/٢.

٣) دلائل الإعجاز:٣٣٢.

٤) الإيضاح في علوم البلاغة:٥٩.

٥) المصدر نفسه :٥٩.

وتابعه البابرتي(٧٨٦هـ) في شرح التلخيص[١]، وكذا السيوطي(ت ٩١١هـ) في الإتقان أشار إليه بقوله:((هو الذي يخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها))[٢].

أما السكاكي(٦٢٦هـ) الذي ادخله بعض الباحثين في مَنْ سكت عن وجود قصر التعيين فهو، وإن صرّح بأنَّ القصر: قصر إفراد أو قلب فقط، ولكنه في الأمثلة جعل قصر التعيين داخلا في قصر الإفراد، إذ قال: ((زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم زيدا على احد الوصفين من غير ترجيح ويسمى قصر إفراد بمعنى انه يزيل شركة الثاني))[٣].

وقد أوّل بعض الدارسين عبارة السكاكي بأنَّ إزالة الشركة المتيقنة إفراد، والشركة الاحتمالية تعيين، وأنكر ذلك آخرون[٤]. وتابع عضد الدين الايجي (ت ٧٥٦ هـ) السكاكي فيما ذهب اليه[٥].

ومن المنكرين لوجود قصر التعيين ابن الناظم (٦٨٦هـ) الذي ذهب إلى انهما إفراد أو قلب (٦).

ونرى أنَّ القول بوجود قصر التعيين اقرب الآراء إلى الصحة لاجتماع أغلب البلاغيين القدماء على مفهومه، وإن لم يصرحوا بذلك، فعدم التصريح لا يعني بالضرورة انعدام الشيء، بل إنَّ كثيراً من المفاهيم التي اصطلح عليها المتأخرون إنما نبعت من تلميح لذاك العالم اوإشارة أو تمثيل لآخر.

---

١) ينظر: شرح التلخيص: حاشية الدسوقي: ٣٢٤.٣٢٣.

٢)ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٩/٢.

٣) مفتاح العلوم: ١٦٠.

٤) ينظر: اساليب القصر في القرآن الكريم واسرارها البلاغية: الدكتور صباح عبيد دراز: ٧٧.

٥) ينظر: الفوائد الغياثية في علوم البلاغة:٧٦.

٦) المصباح في المعاني والبيان والبديع:٩٤.

طرائق القصر:

يتوصل إلى القصر بطرائق كثيرة أوصلها السيوطي إلى أربع عشرة طريقة(١)، منها طرق مشهورة عند البلاغيين ومنها غير مشهورة الاستعمال يمكن أن نعرض لها بإيجاز:

١ـ الألفاظ التي تدلّ على القصر من خلال مادتها اللغوية صراحة، مثل: لفظ وحده، وفقط، أو لا غير، أو الاختصاص، أو مادة القصر كقولنا: زيد مقصور على الشعر، أو توسط ضمير الفصل، أو تعريف المسند إليه أو المسند بأل الجنسية(٢).

وهذه الطرائق تفيد القصر ولكن هذه الإفادة لم تأتِ من خصوص التركيب وإنما من لفظ لغوي مفرد، وهو ما يعبر عنه بالمعنى الأولي، وإنّما البلاغة تقوم على المعنى الثانوي لأن المعنى الأولي له علم مخصوص به.

٢. أن يأتي القصر من دليل خارج عن النص، كالدليل العقلي في قولنا: زيد قائد الجماعة، أو الحسي نحو:﴿ W V U T S R Q P O N ﴾(٣)، أو التجريبي: تبث الشمس ضياءها على الأرض فتمدها بالحرارة، أو دليل من القرائن الذهنية أو الحالية.

وهذا القصر أيضا لم ينص البلاغيون على إدراجه ضمن طرائق القصر المشهورة عندهم.

٣. القصر بأدوات وأساليب مخصوصة منها:

أولا: القصر بالنفي والاستثناء.

ثانيا: القصر بـ(إنَّما).

ثالثا: القصر بأدوات العطف:

أ . لا.

ب . بل.

ج . لكن.

---

١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٢/٥٠٦ وما بعدها.

٢) ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية: الدكتور محمد محمد ابو موسى ٣٤:.٣٥.

٣) آل عمران/١٨٩.

رابعا: القصر بتقديم ما حقه التأخير.

خامسا: تعريف المسند والمسند اليه.

سادسا: ضمير الفصل.

وهذه الطرائق من الطرائق المخصوصة التي قصدها البلاغيون بتعريفهم للقصر بأنه(تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص)[1] والتي ستكون مدار البحث في هذه الدراسة ان شاء الله تعالى لكونها الاوضح والاكثر استعمالا في نهج البلاغة.

وأضاف بعض البلاغيين طرائق أخرى كثيرة أوصلها السيوطي في الإتقان إلى أربع عشرة طريقة[2].

---

١) مختصر المعاني: التفتازاني: ١١٥.

٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٢/٦٥ـ ٧٠ ، والبلاغة الاصطلاحية:٢٤٨.

الفصل الأول ١

النفي والاستثناء

يعد القصر بطريق النفي والاستثناء من أقوى الطرائق، وقيل إنَّه أصل الباب ، وغالبا ما تُرد الجمل القصرية إلى الاستثناء بالحمل عليه، ويأتي في مقامات الإنكار كثيرا، ويأتي في المواقف التي تنزل منزلة الإنكار، أو تلك المجهولة بالنسبة للمخاطب التي لا يقع فيها الإنكار[١].

والاستثناء باب من أبواب النحو يراد به: إخراج الاسم الواقع بعد الأداة (إلا) أو ما يقابلها في المعنى من الحكم الذي يقع على الاسم قبلها[٢].

وقد ورد هذا المصطلح قبل سيبويه بمعناه ووظيفته النحوية ولم يُصرَّح بلفظه، ثم نصَّ عليه سيبويه في أواخر القرن الثاني الهجري حين عرَّف الاستثناء قائلاً: ((هذا باب لا يكون المستثنى فيه إلا نصبا؛ لأنه مخرجٌ ما أدخلت فيه غيره))[٣]، وكذا فعل خلف الأحمر[٤] والفراء[٥] والاخفش[٦] ثم المبرد الذي عرفه بقوله: ((هذا باب الاستثناء، والاستثناء على وجهين: ان يكون الكلام محمولا

---

١) ينظر: دلائل الإعجاز:٣٣٢.

٢) ينظر: الاستثناء ومعالمه بين القاعدة النحوية والواقع ألاستعمالي من خلال معلقات العرب العشر:١٢.

٣) الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون: ٣/٣٣٠.

٤) ينظر:الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي :٢١.

٥) ينظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق: احمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار: ٢/٢٧٧.

٦) ينظر: معاني القرآن : أبو الحسن سعيد بن مسعدة، الاخفش الأوسط، ، تحقيق: فائز فارس:١/٥٧.

على ما كان عليه قبل دخول الاستثناء، وذلك قولك: ما جاءني إلا زيدٌ، وما ضربتُ إلا زيداً و وما مررت إلا بزيدٍ، فإنما يجري هذا على قولك: جاءني زيدٌ، ورأيتُ زيداً، ومررتُ بزيدٍ، وتكون الأسماء محمولة على أفعالها..))[1] وبين الغاية من هذا الطريق بقوله:((وإنما احتجت إلى النفي والاستثناء؛ لأنك إذا قلت: جاءني زيد فقد يجوز ان يكون معه غيره، فإذا قلت: ما جاءني إلا زيد، نفيت المجيء كله إلا مجيئه، وكذلك جميع ما ذكرنا))[2]، ثم ذكر النوع الثاني منه وهو((ان يكون الفعل، أو غيره من العوامل مشغولا ثم تأتي بالمستثنى بعدُ، فإذا كان كذلك فالنصب واقع على كل المستثنى، وذلك قولك: جاءني القوم إلا زيداً، ومررت بالقوم إلا زيداً))[3].

ويتحقق الاستثناء من ركنين رئيسين: الأول هو النفي، والثاني هو الاداة ، إذ تتكون جملة القصر في هذه الطريقة من أداة النفي أو النهي(لا النافية، ما النافية، لا الناهية)، أو أداة الاستفهام الإنكاري(إن، وهل)، أو الأفعال التي تدلّ على النفي(ليس، وأبى، ويأبى)، يأتي بعدها المقصور ثم أداة الاستثناء، ثم المقصور عليه. وعليه فان المقصور يأتي بعد أداة الاستثناء كما في قول الشاعر عبد الله بن رواحة (الرجز) [4]:

هَل أَنتِ إِلّا إِصبَعٌ دَميتِ

وَفي سَبيلِ اللَهِ ما لَقيتِ

فإنَّ المقصور عليه هي الاصبع التي دميت والمقصور هو الضمير.

---

١) المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة:٣٨٩/٤.

٢) المصدر نفسه: ٣٨٩/٤.

٣) المصدر نفسه: ٣٨٩/٤.

٤) الديوان: تحقيق الدكتور وليد قصاب،١٥٤.

وتقسم أدوات الاستثناء على ستة أقسام، وقد اثبت صاحب(الجزولية) منها ثلاث عشرة أداةً[١]، بقوله((أدواته: من الحروف إلا: ومن الأسماء: غير، وسِوى، وسُوى، وسواء. ومن الأفعال: ليس، ولا يكون، وعدا وخلا المقرونتان بما، ومن المترددة بين الأفعال والحروف: عدا وخلا العاريتان من ما، ومما اتفق على انه يكون حرفا واختلف في أنه هل يكون فعلا: حاشا. ومن مجموع الحرف والاسم: لاسيما))[٢].

و(إلا) هي أم الأدوات في الاستثناء، والأصل وما بقي محمول عليها؛ لأنّها حرف، والأصل في نقل الكلام للحروف، فإذا قيل: جاء زيد، ثم قيل: ما جاء زيد، أدت (ما) إلى نقله من الإثبات إلى النفي[٣].

ويتم الاستثناء بطرائق ثلاث هي:

١. الاستثناء من الموجب التام.

٢. الاستثناء من التام المنفي.

٣. الاستثناء المفرغ.

وقد اختلف البلاغيون في الطريقة التي تفيد القصر من طرائق النفي والاستثناء؛ فقد ذهب أغلبهم إلى أنه لا يتحقق في الموجب التام؛ لأنه يفيد الإثبات، والاستثناء قيد، فلو قلنا ما جاء القوم إلا زيدا، لكان فيه إثبات لمجيء جميع القوم المغايرين لزيد، وهذا ما تؤديه الصفة أيضا، ورد عن ابن

---

١) هو عيسى بن عبد العزيز الجزولي، من علماء العربية، أخذ عنه العربية الشلوبين وابن معط، ولد سنة ٥٤٠هـ وتوفي ٦٠٧هـ، له مصنفات منها: شرح أصول ابن السراج، والمقدمة الجزولية في النحو، وهي حواش على جمل الزجاجي، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم:٢٣٦.

٢) الاستغناء في الاستثناء: شهاب الدين القرافي ، تحقيق: الدكتور طه محسن: ٢٩.

٣) ينظر: الاستثناء ومعالمه بين القاعدة النحوية والواقع الاستعمالي من خلال معلقات العرب العشر: اطروحة دكتوراه : خالد صالح الشراري، اشراف أ. د محمد امين احمد الروابدة، جامعة مؤتة،٢٠١١م:٧.

يعقوب[١]((.... الاستثناء من الإثبات، كقولك: جاء القوم إلا زيدا، ليس من طرائق القصر، إذ الغرض منه الإثبات، والاستثناء قيد، فكأنك قلت: جاء القوم المغايرون لزيد، ولو كان من طرقه لكان أيضا من طرقه نحو: جاء الناس الصالحون))[٢]، ووافقه صاحب المطول الذي يرى أن((الاستثناء من الإيجاب ليس القصد فيه إلى الحصر بل إلى تصحيح الحكم الايجابي))[٣]، ويرى أن عبارة مثل: جاءني الرجال إلا الجهال لا تمثل قصرا؛ لأنها كمن يقول: جاءني الرجال العلماء، وليس فيها قصر بخلاف الاستثناء من النفي مثل: ما جاءني إلا زيد التي تفيد قصر الحكم على زيد لا تحصيل الحكم[٤].

وذهب آخرون منهم ابن السبكي في عروس الأفراح إلى أنّ الاستثناء يفيد القصر سواء أكان مع النفي أم الإثبات، وإنَّ قولنا: قام الناس إلا زيدا، يدل على قصر عدم القيام على زيد بالنسبة إلى الناس، ورفض قول من ذهب إلى أن (القصر) بطريق الاستثناء لا يتم إلا مع النفي[٥].

ويبدو لنا أنَّ لا ضير في قبول ما ذهب إليه ابن السبكي فالاستثناء إخراج من حكم ما وفي المثال السابق قد خرج زيد من حكم القوم الذين قاموا.

واتفق النحاة على أنَّ القصر يتحقق بالطريقين الآخرين وهما الاستثناء التام المنفي، سواءٌ أذكر المستثنى منه أم لم يذكر، وكذا الاستثناء المفرغ الذي يتوجه النفي فيه إلى مقدر هو في الواقع المستثنى منه الذي اشترطوا أن يكون تقديره معنويا لا صناعيا. وأن يكون عاما؛ لأنَّ الاستثناء إخراج، فيحتاج إلى مخرج منه، لذا لابد من أن يكون عاما، لأنَّ الإخراج لا يتم إلا منه، ولابد من أن يكون مناسبا للمستثنى منه في الجنس، نحو: ما جاء إلا زيد أي أحد[٦].

---

١) ابن يعقوب المتوفى سنة١١١٠هـ، له مصنف اسمه(مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح)، ينظر: محاضرات في تاريخ البلاغة العربية، عبد الرحمن الكردي:٥٤.

٢) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ١٩١/٢.

٣) المطول:٢١٩.

٤) ينظر: المصدر نفسه:٢١٩.

٥) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:١٩٢/٢.

٦) ينظر: مفتاح العلوم: تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي: ١٢٩.

وقد اتفق أغلب البلاغيين على أنَّ القصر بالنفي والاستثناء لا يتم إلا بطريق واحد من طرائقه وهو الاستثناء المفرغ الذي يتفرغ فيه العامل لما بعد(إلا)، أو ما بمعناها، وقد ذكره سيبويه بالإشارة من دون تصريح: إذ قال:((فأما الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل ان تلحق(إلا) فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه))[١]، ومثل له بالجمل:((ما أتاني إلا زيد، وما لقيت إلا زيدا، وما مررت إلا بزيد))[٢] فهذه الجمل تدل على المعنى ذاته الذي تدل عليه الجملة قبل دخول (إلا) عليها؛ بدليل ان الاسم الواقع بعدها يعرب بحسب موقعه من الجملة.

وهذا النوع من الاستثناء هو الذي اصطلح عليه البلاغيون بـ(القصر) الذي عدوه ضربا من ضروب الإيجاز[٣].

وقد رأينا أن نسير في تحليل النماذج مع الأغلبية من النحاة والبلاغيين وإنْ كنّا لا نرى ضيرا في إفادة التام الموجب للقصر أيضا، وعليه سنقصر دراستنا على (الاستثناء المفرغ) .

ولعلّ من نافلة القول أن نذكر شيئا من دلالات النفي الذي سيكون مصاحبا للاستثناء في دراستنا؛ لأنَّ النفي في اللغة العربية له دلالات كثيرة بحسب الأدوات المستعملة فيه؛ فلكلِّ أداة جرسها الخاص الذي يؤدي بدوره دلالة مختلفة في داخل التركيب، لا يمكن تحصيلها بإحلال أداة أخرى محلها من الوجهة البلاغية، وان كانت الدلالة العامة واحدة.

منها ـ على سبيل المثال ـ ان (لا) تستعمل للمبالغة في النفي؛ لأنَّها لنفي الجنس، فيما تستعمل(ما) للمبالغة في الإثبات؛ لأنَّ معناها التحقيق[٤]، وهذا ما سنشير إليه كل في محله من هذه الدراسة.

---

١) الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون:٢/٣١٠.

٢) المصدر نفسه:٢/٣١٠.

٣) ينظر: الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي:٤٠.

٤) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق: د. حسن إبراهيم الحفظي:٢/١٣٥٠، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم:٢/١٩٤، والفروق النحوية في اللغة العربية، دراسة في وظائف المفردات، الدكتور شهاب احمد إبراهيم: ١٤٣.

وقد وجدنا ان الإمام (عليه السلام) قد أكثر من استعمال النفي والاستثناء في (نهج البلاغة) وجاء استعماله في المرتبة الأولى يأتي بعده القصر بـ(إنما) ولاشك في ان ذلك يعود إلى المواقف التي تستدعي هذا الأسلوب لأنه ((لا يكون غالبا إلا في المقامات العنيفة المستوفزة[١]، جهيرة النبرة، قوية الوقع، حين تتشابك مواقف التأثير الوجداني مع الإقناع العقلي، وهذا إنما يكون في مقامات الإنكار، وليس الإنكار موقفا عقليا فحسب بل انه رفض تتعانق فيه الطاقات الإنسانية الراقية))[٢] وهذا كما ذُكر الغالب في استعمال النفي والاستثناء وقد يستعمل في الأمور ((المنزلة منزلة المنكرة، أو المجهولة، التي لا إنكار فيها))[٣]وقد ورد النفي والاستثناء في (نهج البلاغة) غالبا في الأمور الإعتقادية أولا، ثم العبادية والسياسية والاجتماعية مما سنذكره فيما يأتي:

اولا: الامور الاعتقادية: تأتي في مواطن الحديث عن الدنيا والآخرة وعلاقة الانسان بالخالق والمخلوقين، ومن الامثلة التي وردت في نهج البلاغة قوله (عليه السلام) ((.... **وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ، فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ**))[٤].

يمثل هذا الجزء من الخطبة تخويفا وإنذارا بالموت في كلمات موجزة ولكنّها زاخرة بالمعاني الدقيقة، فضلا عن أنها حوت وجوها من التوكيد وضروب التفخيم؛ أولها الإتيان بضمير الشأن((إبهاما للمرام وقصدا للتفخيم والإعظام وتشويقا للسامعين إلى ما يتلوه من النبأ العظيم))[٥]، ثم مجيء اسلوب القصر الذي يمنح الكلام توكيدا وتمكينا في الذهن،يضاف إلى ذلك قوله (عليه السلام)(**أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ**) وهو كلام استعمل فيه الفعل الماضي ليدل على ان الأمر واقع لاشك فيه لان((داعيه اسمع كل الأحياء ورسله

---

١) ((المُستوفِزَ هو الجالس على هيئةٍ كأَنَّه يُريدُ القِيامَ سَواءٌ كان بإقْعاءٍ أَوْ لا))، تاج العروس: مادة (وفز).

٢) أساليب القصر في القرآن الكريم واسرارها البلاغية: ١٦٦.

٣) المصدر نفسه:١٦٦.

٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٢٦٩/٨.

٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:٢٦٥/٨.

وصلت إلى كل فرد وقد أعجل حاديه فإنه لم يترك الناس أو يمهلهم ليدبروا شؤونهم بل أخذهم بسرعة وساقهم إلى نهايتهم بقوة))[1] وقد جاء ذلك في سياق جملة اسمية ليمنح الكلام الديمومة والثبات ، فضلا عن دلالات الألفاظ التي اكتسبها السياق من استعمال أسلوب القصر بـ(ما) و(إلا) فقال(ما هو إلا الموت) فليس غير الموت ينتظرهم بعد هذه الحياة الفانية وما يتبعه من الحساب والجزاء، وإنما جاء هذا التأكيد لما رآه من غفلة الناس واشتغالهم بأمور الدنيا عن زاد الآخرة،؛ فأنزلهم منزلة المنكرين لتنبيههم وإعلامهم بأنَّ ((الموت حق يقين ليس منه خلاص ولا مناص... وانه يدركهم ولو كانوا في بروج مشيدة وإذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون))[2].

وقد جاء القصر بـ(ما) النافية مع(إلا) وهو نفي قوي قاطع؛ ليؤكد للناس أنَّ ما ينتظرهم هو أمر لاشك فيه لدى المؤمنين بالمعاد، فالمخاطبون لايشكون في أنَّ نهايتهم الموت، ولكنه (عليه السلام) جاء بكلامه هذا لأجل التنبيه، فالناس لشدة غفلتهم وانشغالهم بالحياة الدنيا وملذاتها يبدو كلَّ واحدٍ منهم كالمنكر لوجود الموت مما يحتاج إلى من ينبهه ويوقظه من غفلته. وقال (عليه السلام) في موضع آخر:((**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، .....، لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ، إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ، إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ، .....، لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ، ..، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، .....، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ، وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ**))[3] المحور في هذه الخطبة هو ذم الدنيا والتحذير منها والدعوة إلى الزهد في مظاهرها الخادعة التي تدفع أهل النفوس الضعيفة إلى

---

١) شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي:٢/٣٨٧ .

٢) منهاج البراعة: حبيب الله الخوئي:٨/٢٦٥.

٣) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:٧/٢٢٦.

الإقبال عليها وقد أكد (عليه السلام) في أكثر من موضع على عيوب الحياة الدنيا ومساوئها وغدرها بالإنسان وكان ذلك بأساليب عدة ورد منها في هذه الخطبة التوكيد بـ(إنَّ) المشبهة بالفعل التي ذكرت خمس مرات، والأوصاف الكثيرة المتتالية ذات المعاني المختلفة، وكان لأسلوب القصر نصيب من هذه الدعوة وقد ورد في العبارات الآتية:

١. لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ، إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً.

٢. وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً.

٣. وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ، إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ.

٤. لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً.

٥. وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ.

٦. لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى.

٧ـ وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ.

وقد توزعت هذه العبارات بين عدّة أدوات منها، أولا: القصر بـ(لم) والفعل وذلك في الأمثلة الثلاثة الأولى (**لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ، إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ، إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ**)، ثم عدل إلى استعمال أداة النفي(لا) مع الفعل المضارع في جملتين بعدها(**لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً. وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ**)، جاء بعدها القصر بالنفي والاستثناء في الجملة الاسمية (**لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى**)، ثم انتقل إلى القصر بالنفي الضمني مع الاستثناء في الجمل الأربع الأخيرة(**وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ**).

ولا شك في أنَّ لهذا التتابع في جمل القصر دلالة لا يمنحها إتباع اسلوب آخر، وبخاصة إذا تنوعت أدوات القصر في الجمل، لأنَّ لكل أداة دلالة خاصة وان اتفقت في الدلالة العامة، على أن لكل أداة((دلالتها وزمنها وإيقاعها الذي يتطلب النظم، ذلك ان الألفاظ مشاكلة للمعاني التي هي أرواحها يتفرس العاقل

فيها حقيقة المعنى كما يتعرف الصادق الفراسة صفات الأرواح في الأجساد))[1]، فلو تأملنا توالي قصرين أو أكثر مثلا في موقف واحد سنجد ما يسمى بتصعيد المعاني أو ما عرف عند العلماء(الترقي في الترتيب) الذي يؤدي مهمة ((التدرج في التأكيد وصولا إلى الغاية المناسبة اقتصادا في التأثير وبلاغة في سياسة النفوس)[2].

وإذا تأملنا الأمثلة الثلاثة الأولى التي ورد فيها النفي بـ(لم) مع الفعل، نجد الفعل الماضي قد اقترن بها بعد (إلا) لأجل التناسب في الزمن؛ لأنَّ(لم) من الأدوات التي تقلب زمن الفعل إلى الماضي وهو ما يتطلبه السياق ثم جاء بعده الفعل الماضي ليؤكد أن الحدث قد وقع وانتهى وأصبح من الحكايات التي تروى لتؤخذ منها العبر، ثم جاء النفي بـ(لا) في الجمل التي بعدها؛ لأنها من الأدوات التي تنفي الماضي، وتدخل على الجملة الاسمية، كما تؤكد نفي الجنس إذا دخلت على نكرة وهذا ما نجده في جمل هذه الخطبة.

ونجد اسلوبا آخر للقصر هنا وهو مجيء الاستفهام مع (إلا) في قوله (عليه السلام)(**وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ**). و((القصر به له مذاق خاص، ومقام معلوم؛ لأنّه يشرك المتلقي في الوصول إلى الحكم أو المعنى تحقيقا للغرض، بإثارة طاقاته ويحفزه على التأمل والتذوق وصولا إلى إقناع مؤثر بحق واضح في نفسه))[3].

والقصر في الأمثلة السابقة من قصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا وهو من قصر التعيين؛ لأنه يعين صفة الموصوف في كل جملة بمعنى انه يبين نتيجة كل حالة من الحالات التي يمر بها الإنسان . وقال (عليه السلام) مذكرا بالموت الذي ينتظر كل انسان:((... **فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَالْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ**))[4].

---

١) نتائج الفكر في النحو: ابو القاسم عبد الله السهيلي:١٣١.

٢) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، الدكتور صباح عبيد دراز:١٤٨.

٣) المصدر نفسه: ١٥٦.

٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:١٤٥/٥.

يمثل هذا الجزء من الخطبة دعوة للناس إلى الاستعداد للآخرة؛ لأنها الباقية أما الدنيا؛ فإنها فانية، وفي ذلك إيماء إلى أنَّ الدنيا ليست الغاية من خلق الإنسان وإلا كان خلقه عبثا، لان وجوده محدود بفترة قصيرة لا يستدعي هذه الطاقات والأسرار التي أودعها الباري فيه وإنما هي مجاز لحياة أخرى هي الغاية والمقصد[١] قال (عليه السلام): ((**الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا**))[٢]، ثم بين (عليه السلام) نوع الحجاب الذي يفصل الإنسان عنها وقصره على الموت فليس غير الموت يفصل بين العبد والجنة أو النار، فإذا علم بذلك لابد له من أن يقطع ما يربطه بالدنيا ويفرغ قلبه من حبها ويملؤه بحب الآخرة والجد في التزود لها، [٣] وقد استعمل عليه السلام القصر وسيلة لإيصال المعنى المطلوب فـ(ما) للنفي القاطع((أي ليس بين أحدكم و بين الجنّة إن كان مؤمنا صالحا، أو النّار إن كان منافقا فاسقا إلا الموت أن ينزل به وحاصل الكلام هو انّ الموت فاصل بين الإنسان وما ينتهي أمره إليه من الجنّة أو النّار))[٤].

وهو قصر حقيقي تحقيقي؛ لأنه متحقق على أرض الواقع وهو عام شامل، وهو من قصر الإفراد؛ لأنَّه افرد الموت فقط ليكون حاجزا بين الإنسان ومصيره الأخروي. وذكر عليه السلام بالعدال الالهية قائلا:((**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَ بَلَاءٍ**))[٥].

في هذه الخطبة بيان لما يهلك الناس من الجبابرة والطغاة افتتحها (عليه السلام) بالتخويف والتحذير من التجبر ووازن بين صنفين من الرعية بين الأول

---

١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣٢٤/١

٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:١٨١/٢٠.

٣) ينظر: شرح ابن ابي الحديد:١٤٥/٥،في ظلال نهج البلاغة: ٣٢٤/١، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي: ٤٠١/٤، وتوضيح نهج البلاغة: محمد الحسيني الشيرازي:٢٤٩/١.

٤) مفتاح السعادة:٣٨٣/٧.

٥) شرح نهج البلاغة:٣٨٤/٦.

بقوله(**إِنَّ اللَّـهَ لَـمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ**)، فيتحدث عن الجبار في كل دهر من الدهور ولم يعين جبابرة عهد معين وانذر بان الله سبحانه يزن الأمور بميزان عدله حتى أنّه لا يسلط غضبه على الجبابرة إلا بعد أن يمهلهم مدة من الزمن؛ ليتمكنوا من الرجوع والإنابة، وكذلك فإنَّه يمنحهم من الرخاء ما يدفع العاقل الرشيد إلى استشعار الرحمة الإلهية ويشكر النعم التي أغدقها عليه فلا تكون سببا لتكبره وتجبره، وبذلك فانه جلا وعلا ألقى الحجة على هذا النوع من البشر فإذا ما قابل الإحسان بالإساءة أخذه الله بقدرته فأهلكه ليكون عبرة لمن اعتبر[1]. وهذه هي حال الجبابرة في كل عهد كفرعون والنمرود وقارون وغيرهم مرورا بطغاة بني أمية كمعاوية ويزيد وعبيد الله وأمثالهم ثم الشواهد الكثيرة في العصر الحديث، وجعل (عليه السلام) مقابل هذا الصنف صنفا آخر تعهده الله سبحانه بالرعاية والنصر، فقال (عليه السلام)(**وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ**) والأزل ـ بفتح الهمزة ـ الضيق والشدة فإنَّ بعد العسر يسرا، وهي حال الأمم المستضعفة التي لم تنل حقوقها إلا بعد تضحيات جسام كحال المسلمين قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين تحولوا بفضل الله والتفافهم حول الرسول إلى امة من أقوى الأمم وأعزّها.

وقد ورد القصر هنا بـ(لم) مع الفعل، و(لم) مما ينفي وقوع الحدث ويقلب زمنه إلى الماضي. ولعلَّ السبب في ذلك أن الإمام (عليه السلام) يقرر حقيقة أثبتها التاريخ من أخبار الأمم السالفة وما جرى عليها؛ لذا كان استعمال (لم) أدق في التعبير، ثم عدل في العبارات التي تلتها إلى استعمال عبارات أخرى لربط الماضي بالحاضر وجاء بأدوات نفي هي(ما) و(لا) مع الاسم و(لا) أخرى مع الفعل المضارع: فقال (عليه السلام):(... **وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ ..... لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ**) نجد في هذه العبارات تنوعا في أدوات النفي وهذا التنوع خاضع لقاعدة دقيقة في التعبير، تتلاءم مع السياق الذي ترد فيه صياغة وحالا وزمنا، فقد جاء النفي في بداية الكلام بـ(لم)

---

[1]) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:٦/٣٨٥،وشرح نهج البلاغة: ابن ميثم:٢/٣٠٥، شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي:٢/٣٨.

مـع الفعـل لأنَّ الحـديث عـن أحـداث مضـت وانقضـت وأصـبحت مـن قصـص الأولين، ثم جاء النفي بـ(ما) التي دخلت على الاسم للدلالة على النفي في حال التكلم وهي في مرتبة من التأكيد أدنى من مرتبة (لا) التي جاءت مع لفظ السمع ولفظ البصر، وربما يرجع ذلك الى أنَّ الإدراك القلبي أصعب من غيره؛ إذ لا يتأتى بالقدر نفسه، والمخاطب على علم بذلك فلا يحتاج إلى تأكيد شديد، بخلاف السمع والبصر، فالاعتقاد السائد أنَّ كلّ ذي أذن من الطبيعي أن يسمع، فضلا عن أنَّ كل ذي عين باصرة يبصر وعليه فهو بحاجة إلى نفي أكثر توكيدا من سابقه ليقتنع بقول الإمام هذا؛ لذا جاءت(لا) وهي أكثر توكيدا في النفي من(ما) ، وإن كنّا نعتقد بأنّه (عليه السلام) لا يريد به السمع والبصر المجرد وإنما يقصد الادراك[1]، بدلالة الجملة بعدها(**لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ**).

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا، ويمكن ان يعد من قصر القلب؛ لأنه يقلب اعتقاد المخاطب من موقفه تعالى في تحديد مصير الجبابرة والمستضعفين فلربما أراد الناس من الله تعالى أن يجازي الظالم على ظلمه بسرعة وان ينصر المظلوم بسرعة؛ لأنَّ ذلك من استحقاقهم غير انه (عليه السلام) قلب هذا الاعتقاد حين بيّن أن الله تعالى بعدله لا يترك الظالم أبدا ولكنه يمهله مدّة من الزمن علّه يعود إلى رشده، وهو عزّ وجل لا يترك مظلوما أو مستضعفا من دون أن ينصره ولكنه لكي ينتصر لابد من ان يتذوق طعم الألم ومرارة الظلم ليستحق الفوز، ولعلّ في ذلك حكمة الهية في الحالين: الأولى؛ لأنَّ الظالم حين يقتص منه الباري ليس لديه ما يعتذر به لظلمه الناس وتجبره بعد أن منحه الله سبحانه فرصة للتوبة وبما نعّمه وأكرمه من فضله، أما المستضعف والمظلوم فلربما كان الألم والضيق اللذين يحسان بهما يدفعهما إلى الرحمة بالناس وأن لا تزل به قدمه فيظلم كما ظُلم، والله العالم. ثم ذكر عليه السلام بانه لا يأمر بشيء الا بعد ان يأتمر به ولاينهى عن شيء الا بعد ان ينتهي عنه وهو انما يصدر في حديثه عن خلق اهل البيت عليهم السلام: ((..... **وَالَّذِي بَعَثَهُ**

---

١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:٣٨٥/٦،وشرح نهج البلاغة: ابن ميثم:٣٠٥/٢، شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي:٣٨/٢.

بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَمَآلِ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنِي،وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ، إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا))[1].

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة عن مصائر الناس مما اخبره به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واقسم بالله قائلا:(**مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً**) توكيدا لكلامه فقد قصر ما ينطق به من كلام على قول الصدق فقط وجاء بـ(ما) النافية مع الفعل المضارع؛ لأنَّ الحديث هنا عن الحال و(ما) تفيد نفي الحال وإن كنا نرى أنَّ ذلك خاضع لسياق الكلام وما يفهم من المقام وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا ونرى إنه من قصر القلب؛ لأنَّ ما يتحدث به الإمام من الأمور الغيبية التي لا يمكن أن يصدقها جميع الناس، فلربما شككوا في صدقه فهو بقسمه وما أفاد منه من اسلوب القصر قلب اعتقاد بعض المخاطبين ممّن لم يصدقوا أو أنّهم شككوا بكلامه (عليه السلام)، ثم بيّن (عليه السلام) مصدر تلك الغيبيات وانه قد أخذها من الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((**وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَمَآلِ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنِي،وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ**)) أي أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يترك شيئا مما يجول في خاطري من غيبيات وأسرار إلا أطلعني عليها وقد جمع (عليه السلام) بين قوله(يمر على راسي) و(إلا أفرغه في أذني)، وهو كلام في غاية الفصاحة، ونجد في العبارتين كناية حسنة، فاستعمل اسلوب القصر بـ(ما) والفعل الماضي وهو من أساليب التوكيد في العربية.

والقصر هنا من قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا وهو من قصر التعيين؛ لأنه عين نوع المقصور عليه ليبعد اشتراك أكثر من موصوف في صفة واحدة. وقال في بيان الحق والباطل: ((**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ، فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ مِنِ انْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ،**

---

١) شرحنهج:ابن أبي الحديد،١٠/١٠.

وَابْتِزَازِكَ لِمَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ))[1].

أرسل الإمام (عليه السلام) هذا الكتاب إلى معاوية ردا على كتاب بعثه إليه بعد أن قتل (عليه السلام) الخوارج وفيه تلويح وتذكير بما كان يقوله (عليه السلام) لمعاوية حين وعده الرسول ((صلى الله عليه وآله وسلم)) بقتال طائفة من الناس غير أصحاب الجمل وصفين. وكان معاوية لا يصدق بذلك بل يستهزئ، فبعد أن أحاط بهم (عليه السلام) وقتلهم أحبَّ أن يذكر معاوية بذلك، ويتحدث عن الخلافة ويشير إلى أنَّ معاوية ليس من أهلها بل هو دون الخلافة، فعبر عن ذلك بقوله**(مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ)**، كما ذكره بوجوب طاعته (عليه السلام)؛ لأنه قد وعاها سمعه، إما بالنص من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ إذ كان موجودا يوم الغدير؛ لأنّه حج معهم حجة الوداع، كما كان حاضرا يوم تبوك وسمع قول الرسول (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام)(أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، وإما بالبيعة؛ إذ وصل إليه خبرها وقوله (عليه السلام) **(فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ)** يعني أي شيء ـ على الاستفهام أو على النفي ـ أي ليس شيء بعد الحق الا الضلال وهو من المعاني التي وردت في القرآن فأفاد منها الإمام وضمنها خطبته هذه [2] قال تعالى ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[3].

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا، ويعد من قصر التعيين؛ إذ يعين صفة الموصوف ليبعد الاعتقاد بوجود أكثر من صفة لموصوف واحد؛((فالأمور على نحوين: هدى وضلال وحق وباطل فمن لم يكن على الهدى فهو على الضلال وإذا رفض معاوية حق علي وأبى أن

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:١٨/٢٢.

٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:١٨/٢٤، ومنهاج البراعة: حبيب الله الخوئي:٢٠/٣٣٥.

٣) يونس/ ٣٢.

يقبله فليس له إلا الباطل، وليس بعد ما قدمه النبي من البيان الواضح والدلائل الجلية إلا الالتباس والاشتباه وعدم الوضوح في الرؤية))[1]. وقال (عليه السلام) في موضع آخر: ((... **بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ**))[2].

في هذه الخطبة ينفر الإمام (عليه السلام) من غفلة الناس عن الموت ويدعو إلى الاعتبار بما ورد في الكتب الإلهية من الوعيد والنهي عن الاغترار بالدنيا، وهي خطبة زاخرة بالمعاني العميقة التي سيقت في أحسن الألفاظ وأكثرها دلالة، فلو كان الإنسان يرى بعينه ويسمع بإذنه ما يجري على أهل القبور لقضى حياته في عمل وجِدٍّ ليرى ما يحب في آخرته ولكنه محجوب عنه حتى حين فسرعان ما تنقضي حياته بانقضاء أيامه وويل لمن غفل واستخف، وهو (عليه السلام) بعد أن نصح وبيّن أنَّ ما خفي على الناس من أمور الدين والدنيا قد أوكله الله تعالى إلى الأنبياء والرسل فهم الأمناء من بعد الملائكة في نقل أحكامه وتعاليمه جل وعلا، وفي قوله (عليه السلام)((**وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ**)) ترغيب للناس في قبول ما جاءت به الرسل من الأحكام التي كلفهم تعالى في إيصالها إليهم فهم وحدهم الذين ينحصر بهم البيان والتبليغ، وفي ذلك حكمة للباري، فهم من جنس البشر وهذا ما ينسجم معه الناس لوحدة الطبيعة وما تؤدي إليه من الانسجام، وعليه فإذا كان الرسل هم الذين يبلغون أحكام الله دون غيرهم فان ذلك يعد كافيا للالتفات إلى الله تعالى وقبول ما يقولون والامتثال له وعدم التخلف عن دعوتهم[3].

---

١) شرح نهج البلاغة: السيد عباس الموسوي:٥/١٥٢.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:١/٢٩٨.

٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم،١/٣٢٨، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:٣/٢٩٤، وتوضيح نهج البلاغة:السيد محمد الحسيني الشيرازي:١/١٢٤.

والقصر هنا من قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافيا، وهو قصر إفراد؛ لأنه افرد الرسل بالتبليغ ونفاه عمن عداهم فهو يقرر حقيقة الرسل ووظيفتهم فهم وحدهم من البشر الذين وكلهم الله تعالى بإيصال الأحكام. ولا شكَّ في أنَّ القصر في هذا الموضع يحمل معنى الحث والترغيب في الإقبال على الرسل وان كانوا من جنس المرسلين إليهم .

وقد ورد التعبير هنا بالفعل مع الاستثناء لان تبليغ الأحكام من الله تعالى إلى الناس بوساطة الرسل إنما هو من الأمور المتجددة الحدوث لطبيعة الحياة المتجددة وما يجري فيها من أحداث تحتاج إلى بيان موقف الباري منها رفضا أو قبولا، أمرا أو نهيا، وهذه مهمة الرسل وهي متجددة، وكذلك فان دلالة الفعل المضارع على الحال والاستقبال يمنحهم شرعية التبليغ بما يكلفُون به من قبل الله تعالى، فضلا عن كون الاستثناء هنا جاء بأداة النفي (ما) مع الفعل وأداة الاستثناء(إلا) لقطع الشك على من يرفض الامتثال للرسل بقصر أمر التبليغ عليهم بعد الملائكة قال(علي السلام):((**مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ، .... لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ وَلَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ**))[1].

قالها (عليه السلام) بسبب غارة الضحاك بن قيس الذي أوعز إليه معاوية بالنهب والقتل لما سمع باختلاف الناس على الإمام (عليه السلام) فاستصرخ الإمام (عليه السلام) أصحابه واستشارهم إلى لقاء العدو فتلكؤوا ورأى منهم تعاجزا وفشلا ومما ورد في خطبته(**وَلَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ**)، وهنا قرّر قضية مهمة وهي أنَّ الحقوق كما يقال تؤخذ ولا تعطى، وقوله بالجد مقابل الهزل؛ لأنَّ العمل الجدي وحده الذي يوصل إلى تحصيل الحقوق، وفي قوله هذا تلميح إلى أنهم قوم متخاذلون أذلاء لا يقدرون على شيء من حقوقهم، وليس وراء هذا الذم والتقريع ما هو أوجع للذات، وهم إنما استحقوا ذلك لتقاعسهم فقد تهيأت لهم الأسباب الكافية الوافية لنصرة الحق لكنهم تجاهلوا وأحجموا؛ فوبخهم (عليه السلام) بقوله(**وَلَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ أَيَّ**

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٢/١١١.

دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ)، فقد تركوا القتال معه وهو حامل لواء الحق أينما حل.

وقد ورد القصر هنا ب(لا) و(إلا) مع الفعل المضارع، و(لا) عامة الدلالة تتعين دلالتها من السياق؛ إذ تأتي لنفي الحال كما تأتي لنفي المستقبل وفي هذا الموضع أفادت قصر الحكم في زمن الحال والاستقبال، لأنَّ البشرية على مدى الزمن لا تخلو من حقوق مغصوبة وستظل كذلك إلى أن يشاء الله، فأفاد الإمام (عليه السلام) بما احتوى عليه صدره من معارف دنيوية وأخروية ليقرر حقيقة لمن حوله أنّ هناك حقا مستلبا وهذا الحق إن لم يجتهد أصحابه في تحصيله فإنّه سيضيع، وجاء النفي بـ(لا) مع الاستثناء ليفيد نفيا قاطعا يربط الحاضر بالمستقبل.

والقصر هنا قصر حقيقي ؛لأنه متحقق على أرض الواقع، ويمكن أن يعد من قصر القلب لأنه قلب اعتقاد المخاطب بأنه يمكن أن يحصل على حقه من دون جهد أو عناء وهو حال أصحاب الإمام (عليه السلام) ممن تركوا حقوقهم وركنوا إلى الدعة ولم يجيبوا دعوة الإمام (عليه السلام).

ثانيا: العبادي: ويكون في مواطن التذكير بواجبات العبد امام الباري سبحانه وما فرضه على العبد. قال (عليه السلام):((**أَنْتَ الْأَبَدُ فَلاَ أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلاَ مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ**))[1].

افتتح (عليه السلام) الخطبة بتوحيد الله وتنزيهه وذكر نعوت الجمال والجلال، ثم أردفها بالإنذار والتحذير وتذكير العباد بأنَّ كلَّ شيء خاضع له سبحانه، مما يستوجب من العبد الاعتراف بالفاقة إليه ومما قاله (**أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ . وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ . وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ**) أي أنت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك، وأنت المنتهى، أي ينتهي إليه مصير الناس لقوله تعالى﴿ **وَأَنَّ إِلَى** ç è ﴾[2] ، (**وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلاَ**

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٩٩/٧.

٢) النجم/ ٤٢.

مَنْجَـى مِنْـكَ إلاَّ إِلَيْـكَ) ،إشـارة إلـى قولـه تعـالى﴿ / 0 1 2 3 4 5 6 ﴾[1]، وهـي لا تختلـف فـي معناهـا عـن سـابقتها فتؤكـد أنَّ النجـاة مـن عـذاب الآخـرة لا يكـون إلا بـاللجوء إليـه وحـده سـبحانه فينظـر فـي أمـره ويرفـع حسـابه بمشيئته إمـا بالتوبـة والإنابـة أو بـالمن والرحمـة[2]، وقد أخذ الفرزدق هذا المعنـى فقال:(الوافر)

إليك فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكما حلالا[3]

وقـد جـاء اسـلوب القصـر هنـا بـ(لا) و(إلا)؛ لأنهـا تفيـد نفـي الحكـم عـن جنس اسمها بغير احتمال لأكثر من معنـى واحد؛ فهي تنفي الخبر الواقع بعدها على سبيل الاستغراق[4] وهنا نفت أن يكون هناك سبيل للنجاة من عذابه تعالى بغير اللجوء إليه وحده، فضلا عن أنَّ(لا) من حيث الدلالة الزمنية تدل على الاستقبال وهذا ما يحدده السياق، فالحديث هنا(لامنجى منك إلا إليك) عن مصير الإنسان في الحياة الآخرة وهو مما يقع في المستقبل الذي ينتظر كل عبد من العباد.

وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا، ومن حيث حال المخاطب فهو قصر إفراد؛ لأنه (عليه السلام) افرد الله تعالى بكونه المنجي للعباد ونفاه عن غيره. وقال في موضع آخر: ((**إِنَّـهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا**))[5].

يدعو الامام (عليه السلام) في هذه الخطبة الى الجنة ويبين سبيل الوصول اليها، ويذكّر بأنَّ للنفوس ثمن خلقها الله لأجله وهذا الثمن هو الجنة، وأمر بأن لا

---

١) التوبة/١١٨.

٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٩٩/٧، ومنهاج البراعة: حبيب الله الخوئي:٧/٢٦٠، وشرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني:٥٤/٣.

٣) الديوان: ٦٠٨/٢.

٤) ينظر: مغني اللبيب: تحقيق محي الدين عبد الحميد:٢٤٠/١، وشرح قطر الندى: ابن هشام:١٦١، والإتقان في علوم القرآن: السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم:١٧١/١.

٥) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد،١٧٣/٢٠.

يبيع الإنسان نفسه إلا بهذا الثمن وفيه إشارة إلى قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾[1].

وقد قال ذلك (عليه السلام)؛ لأنه وجد من الناس من يبيع نفسه بأزهد الأثمان وأهونها((ويتبع هواه فيهلك، وهؤلاء أحمق الناس، إلا انه قد رين على القلوب، فغطتها الذنوب، وأظلمت الأنفس بالجهل وسوء العادة، وطال الأمد أيضا على القلوب فقست، ولو فكر الإنسان حق الفكر لما باع نفسه إلا بالجنة لا غير))[2].

وقد جاء القصر هنا مرتين الأولى بـ(ليس) مع الاسم للدلالة على التحقيق والثبوت فثمن النفس هو الجنة ولا يمكن ان يتغير يوما، ثم جاء القصر بـ(لا) مع الفعل المضارع للدلالة على الحال المستمر الى المستقبل، وهو في الجملة الأولى من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا؛ لأنه مما يدعو إليه الله تعالى ويوصي به الأنبياء والأوصياء وهو مما يتحقق على ارض الواقع، ويعد من قصر التعيين؛ لأنه يعين نوع الثمن الذي يتوجب على الإنسان أن يطلبه لنفسه ويبحث عنه. وبين الامام عليه السلام ما تتطلبه الجنه من العبد، قال: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ،...، واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ،...، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى**))[3].

قصر الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة طاعة الله على الأمور التي تتطلب مشقة على النفس كما قصر معصيته على أخرى لا تكلفه شيئا من الالتزام. ولا شك في أنّ القصر ـ هنا ـ إضافي لا حقيقي؛ لأنَّ بعض الأعمال التي تعد من مصاديق الطاعة لا تكلف الإنسان تعبا، بل يجد فيها راحة وترغب فيها نفسه مثل لقاء الأهل الذي يعد من صلة الرحم وهي ترضي الله تعالى ومما يرغب فيه الإنسان ويشتهيه، وفي الوقت ذاته هناك معاصي تقع من العبد وهي

---

١) التوبة/١١١.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:٢٠/١٧٣.

٣) المصدر نفسه:١٠/١٦.

مكروهة للنفس مثل الانتحار بالحرق(والعياذ بالله) فهي معصية تؤتى بإكراه[١]، وقد أدرك (عليه السلام) أنَّ طاعة الله تحتاج إلى مجاهدة النفس والصبر عليها لما تجده من مشقة وتعب في الامتثال لأوامره تعالى والانتهاء عن نواهيه، فعضد كلامه بما نقله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بان الجنة حفت بالمكاره؛ لأنها تتطلب القيام بالتكاليف المفروضة وهي أمور ثقيلة على النفس مكروهة لها تمنعها عن كثير من مشتهياتها، ((بينما النار حفت بالشهوات؛ لأنَّ عدم التكليف خفيف على النفس، ولا يكون هناك التزام أو تكليف وعدم التكليف خفيف وخصوصا أن النفس ترغب في الأمور الباطلة فتندفع وراءها وهي تورد أصحابها النار))[٢]، وهذا نابع من أنَّ الطاعة تتطلب((قهر الهوى و نصرة العقل، فلذلك يكون في كره من القوى الشهوانية و الغضبية، والمعصية قهر العقل ونصرة القوى البدنية، فلذلك يأتي في شهوة))[٣].

ثم قال (عليه السلام) ((**وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ**)) أي أنّه على حذر منها؛ فإنّها إلى التقصير أقرب منها إلى الطاعة، فلا يجزم بصلاحها وسلامة عاقبتها إن لم يراقبها صباح مساء، والمراد من الظنون على وزن صبور مبالغة من الظنة بمعنى التهمة، لأنَّ النفس أمارة بالسوء، وهناك من فسّر الظنون بمعنى الضعيف وقليل الحيلة، وذهب ابن أبي الحديد إلى أنها بمعنى البئر التي لا يدرى أفيها ماء أم لا، وهما معنيان نراهما بعيدين عن المقام والأفضل الأخذ بالمعنى الأول وهو التهمة[٤]، وهنا قصر حال الإنسان مع نفسه على سوء الظن بها لمراقبتها صباح مساء، وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا، ونرى أنَّه قصر قلب هنا؛ لأنَّ الاعتقاد السائد ربما يذهب إلى الاغترار بالنفس والعجب بها لكن المؤمن يفاجأ

---

١) ينظر: توضيح نهج البلاغة:٣/٥٨.

٢) حدائقالحقائق في شرح نهج البلاغة: قطب الدين محمد بن الحسين الكيدري، تصحيح: عزيز العطاردي:٢/٨٠.

٣) المصدر نفسه :٢/٨٠.

٤) ينظر: لسان العرب: (ظن)، و شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:١٠/١٨، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:١٠/١٦٣.

غيره بأنه غير راض عن نفسه دوما وانه يضعها موضع المتهم لدفعها إلى الابتعاد عن المعاصي فهو يحاسب نفسه قبل أن تحاسب يوم لا ينفع الندم، ثم عقب بذكر فضائل القرآن ويدعو إلى التزامه ومصاحبته؛ لأنه الصديق الذي لا يضيع صاحبه ولا يغشه، قال:

((.. **وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ**))، وقد استعار لفظ المجالسة ليدل على ملازمته وقراءته والتدبر في ألفاظه ومعانيه [1]، واستعار لفظ القيام ليعبر عن الفراغ من قراءته وهنا حصلت مقابلة الجلوس بالقيام ولا يخفى ما فيها من اللطف والحسن، ثم قصر حال من يجالس القرآن على القيام منه بفائدة لا تحصل لغيره وهي إما زيادة علم أو نقصان جهل((فإنّ فيه من الآيات الباهرة و النواهي الزاجرة ما يزيد بصيرة المستبصر من الهدى، و ينقص من عمى الجهل))[2].

الجدير بالذكر هنا اننا نجد تضافرا واضحا بين أساليب عدة زخرت بها خطب نهج البلاغة لأداء المعنى المطلوب في أفضل صورة، ومنها هذا النص الذي يمكن أن نشير إلى بعض التراكيب ذات الدلالات العميقة منها:

١ـ التوكيد الذي لا يأتي في الكلام إلا إذا دعت إليه الحاجة، ولأنَّ الخطبة جاءت في الموعظة والنصيحة والترغيب في الطاعات والتحذير من السيئات، والدعوة إلى التزام القرآن وذكر جملة من فضائله مما قد يواجه رفضا أو عنادا من المخاطبين لجأ (عليه السلام) إلى التوكيد لتعضيد كلامه، وقد جاء التوكيد هنا بـ(ان) التي وردت في هذا الجزء من الخطبة تسع مرات، والتوكيد بـ(أنَّ) يعني تكرار الكلام من اجل تأكيده تأكيدا لفظيا، ليطرد الشك الذي قد يتسرب إلى نفس المخاطب، أو يدفع ظنا باطلا يظنه.

---

١) ينظر: منهاج البراعة الخوئي: ١٦٦/١٠

٢) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٣٥٣/٣.

٢ـ اسلوب القصر، وهو من الأساليب التي يعد التوكيد سمة أساسية من سماته على اختلاف أنواعه، فإذا كان القصر بالنفي والاستثناء فانه يؤكد الكلام توكيدا حاسما يقطع الشك، ويدحض الموقف المخالف للحقيقة[١].

٣ـ المقابلة في(يصبح، ويمسي)، و(جالس، وقام)، و(زيادة، ونقصان)،و(هدى، وعمى).

٤ـ ولا خلاف في أن المفردات إذا انسجمت من الناحية الصوتية فإنها تجيء خفيفة على اللسان لذيذة الوقع في الآذان، موافقة لحركات النفس، معبرة خير تعبير عن العاطفة التي دفعت إليها، وعن الفكرة التي أملتها وهذا ما نجده في الألفاظ التي رسمت الفكرة في هذه اللوحة المعبرة.

ثالثا: ادارة الدولة: وتأتي في مواضع الحديث عن الحكم وما يتعلق بشؤون الرعية: **قال (عليه السلام)**: **((كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ،وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ،وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً،إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ))**[٢].

يتحدث الإمام (عليه السلام) هنا عن أمر يعد من الغيبيات التي اخبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين (عليه السلام) بها وهي الإخبار بما يجري على الكوفة من المصائب و المحن فيذكر أنها ستتحول إلى ما يشبه الأديم (وهو الجلد) الذي يمد ويشد عند دباغته، بسبب ما سيحدث فيها من حروب وانقلابات وثورات وقد عبر (عليه السلام) عن ذلك بقوله: (تعركين بالنوازل) والنازلة المصيبة الشديدة التي تنزل من السماء، والعرك الدلك كما قال:(تركبين بالزلازل) تعبيرا عن الاضطراب الذي سيحصل فيها[٣].

وقوله (عليه السلام)(كأني بك) أي كأني أرى ما سيحدث في قابل الأيام، وقد أراد خطاب أهل الكوفة لا الكوفة وهو من المجاز العقلي، وقوله الأديم

---

١) ينظر: تجليات الجمال في اسلوب القصر، مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠١١، ٩٧٦.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد،١٩٧/٣.

٣) ينظر: لسان العرب: مادة(عرك)، ومادة(دلك).

العكاظي نسبة إلى مدينة عكاظ لاشتهارها ببيع الأديم: فأكثر ما كان يباع فيها هو الاديم، وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا، أي ان حال كل جبار يفكر بإلحاق الضرر بالكوفة مقصورة على من يتكفله الله تعالى، فيسلط عليه ما يشغله عن مقصده إما بمرض، أو موت، أو ما أشبه، والذي يتأمل هذا الشطر من الخطبة يشعر بالألم الذي يحسه الإمام (عليه السلام) كما تنتقل إليه حسرته على تلك المدينة التي يرتبط بها الإمام ارتباطا وثيقا، فقد كانت عاصمة لحكومته، فضلاً عمّا تتمتع بها من قدسية، ففيها يوجد الجامع المبارك الذي صلى فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي ملتقى أصحابه مما جعله يتحدث عنها بألم وحسرة وهو ينظر بعين الغيب فيبين لمن معه ومن سيأتي بعده ما سيجري عليها وعلى أهلها ، وكأنّه يقول كأني أرى حالك وقد حكم فيك الجبابرة ومارسوا عليك أقسى أنواع الظلم والاضطهاد، وهذا ما حدث فعلا، فقد لاقت الكوفة من الأمويين أنواعا من العذاب وصبّوا جام غضبهم عليها لكثرة من بها من الشيعة، ولكنه (عليه السلام) عاد ليتوعد من يهددها بقدرة الله تعالى على ردع الظالمين، ولأنَّ الحديث عن الغيبيات يحتاج إلى التأكيد ليصدقه الناس فقد أكد (عليه السلام) ((كلامه بكلمة (انّ) المفيدة للتّأكيد وصفا ثمّ لم يقنع بهذا التّأكيد وحده فايّده بالّلام المفيدة له ثانيا مع أنّ العلم أيضا فيه نوع تأكيد بالنّسبة إلى مطلق الإدراك المفيد للظّن والقطع والشّك. كلّ ذلك إشارة إلى أنّ ما اخبر به لا محالة واقع لا خطأ فيه، فقال وإنّى لأعلم، أي علما قطعيّا مطابقا للواقع بأنَّ كلَّ جبّارٍ يتعرض لها بأذى فإنَّ يد الله ستطاله، وسيأخذه ـ تعالى ــ اخذ عزيز مقتدر، وهذا ما حصل للظالمين أمثال زياد وأبنه الذي جمع أهل الكوفة للبراءة من علي فأصابه الفالج و شغل بنفسه عن غيره، ومنهم من رماه اللّه بقاتل أذاقه حر الحديد و النار كابن زياد وابنه عبيد اللّه والحجاج وابن الزبير وغيرهم[1].

وهو من قصر الإفراد؛ لأنه افرد الجبابرة والظالمين بهذا العقاب منه تعالى لظلمهم وتعسفهم.

---

١) ينظر: توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي:١/٢١٥، شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي: ١/٣٣٥، ومفتاح السعادة: طاش كبرى زاده:٦/٥٤٥.

وقد جاء التعبير هنا بالفعل الماضي(أراد) و(ابتلاه) مع النفي بـ(ما) وأداة الاستثناء(إلا)، وإن كان حديث الإمام عن أمر من الأمور الغيبية التي أخبره بها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي مما سيقع في المستقبل فربما قيل إنَّ الأولى أن يقول(ما يريد) و(يبتليه) للدلالة على المستقبل، ولكنّ الفعل الماضي وإن كانت دلالته حال الإفراد على الزمن الذي انقضى فقد استعمل هنا؛ لأنَّ السياق قد يقتضي العدول من المضارع إلى الماضي ليفيد حصول الحدث وتحققه فوضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد، ومنه قوله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام)﴿ Z Y [\ ] [^ _ ` a b c d e f g h i j k l ﴾[1].

ومع أنَّ حديث عيسى (عليه السلام) عن أمور ستقع في المستقبل؛ لأنه يتحدث وهو ما زال في المهد، ولكنه عبّر بلفظ الماضي وجعل الآتي وكأنّه قد تحقق؛ لأنّ((ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه قد وجد))[2].

وقال (عله السلام) في الحرب وشؤونها:((**فَوَ اللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي**))[3].

خطب الإمام (عليه السلام) بهذه الخطبة بعد احتلاله لمشرعة الماء واستيلائه عليها من جند معاوية وبقائه أياما من دون أن يرسل رسولا إلى معاوية، وكذلك فعل الأخير وهنا ضجّ أهل العراق طلبا للحرب واستغرابا لتأخر الإمام بالإذن لهم وضاقت صدورهم وأخذوا يتحدثون، فمنهم من قال إنّه كره الموت وخافه: لذا هو يؤخر الخروج إلى الحرب، ومنهم من قال إنه (عليه السلام) شاك في جواز قتالهم فجاءت هذه الخطبة ردا عليهم:

(أَمَّا قَوْلُكُمْ أَكُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ، فَوَ اللَّهِ مَا أُبَالِي، دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ) انه (عليه السلام) لا يبالي بالموت سواء أكان موتا طبيعيا أم بالقتل، وقد عبّر عن الأول بالفعل(دخلت)؛ لأنّه غالبا ما يكون إراديا وعبر عن الثاني

---

١) مريم/٣٠.٣١

٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، ترتيب وتصحيح محمد عبد السلام شاهين:٣/١٥.

٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٧/٣٠٢.

بالفعل(خرج إلي) على أنَّه ليس باختياره، وقد شبّه الموت بالسبع في وجاره فتارة يدخل إليه الإنسان فيفترسه وتارة يخرج السبع إليه فيقتله. ولاشك في أنَّ هناك فرقا بين الحالتين وإن كانت النتيجة واحدة، ولكن الموت عند الإمام سواء في الحالتين، أما((**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ**) فانه (عليه السلام) على يقين من ضلال أهل الشام ولاشك لديه في جواز قتالهم، بل هو عنده من المسلمات، إذ أخبره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتاله لهم، فضلا عن أنَّه الخليفة الشرعي الذي يرد الجماعة الضالة إلى طريق الصواب، ولكنّه بيّن سبب تأخيره لقتالهم بقوله(**فَوَ اللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً، إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي**)

وهذه هي مهمة الإمام، وهو لم يُكلّف بأمر من الله تعالى إلا لهذه المهمة السامية وهي إرشاد الناس وهدايتهم إلى الحق، وهكذا هو (عليه السلام) في جميع الحروب التي خاضها، يقصد إعلاء كلمة الإسلام وهداية الأنام وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور الهداية والصلاح، ولم يفكر قطُّ بالقتل والغارة للملك والسلطة، وفي عبارة الإمام هذه تعريض بأهل الشام وضعف بصائرهم، فهم كمن يعشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل.

ولأنَّ الأمر الذي تحدث به الإمام كان ردا على شكوك راودت أصحابه في قضية تعد قضية مصيرية فقد لجأ إلى تأكيد كلامه وان كان معروفا بصدق الحديث غير أنَّ من يكلمهم لا يفقهون ذلك فبدأ أولا بالقسم، ثم أفاد من القصر الذي جاء بـ(ما) و(إلا) ليقطع الشك بنيته من التأخير وهو من قصر القلب كما هو واضح، إذ قصر سبب دفع الحرب أي تأخيرها على رغبته بأن يرجع إليه ضال أو يهتدي تائه[1].

والقصر هنا اضافي من قصر القلب، وقد جاء القصر هنا على الحال وهو الجملة الفعلية المقرونة بالواو (**وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي**)، والقصر على الحال له شأن كبير في العربية وكذا هو في نهج البلاغة؛ لأنَّه

---

١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية:١/٣٠٠، منهاج البراعة: حبيب الله الخوئي:٤/٣٢٨، شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٢/١٤٥، شرح نهج البلاغة: السيد عباس الموسوي القمي: ٢/١٦٣.

يدرس فيما يدرس أحوال الإنسان الثابتة والمتغيرة، وترد لغايات متنوعة؛ فهي إما أن تكون تعديلا أو حثا أو إقرارا، وقد تكون رفضا او إنكارا أو تعجبا، وقد تشمل كلَّ ما تقدم؛ لذا تنوعت صياغاتها لتتلاءم مع الغاية منها.

والحال إما أن يأتي((فعلا ماضيا ومضارعا وجملة اسمية وفعلية ومصدّرا بأن وبغيرها وحالا مشتقة واسما جامدا، وجملة شرطية ومجرورا متعلقا بحال محذوفة))[1].

وفي قول الإمام (عليه السلام) **(فَوَ اللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي)**،يكون القصر من قصر القلب؛ لأنّه قلب اعتقاد أنصاره من تأخيره للحرب، فمنهم من يعتقد بأنَّ الإمام يخاف الحرب، ومنهم من يشك في جواز قتالهم، فجاء الكلام هنا ليفند ما اعتقدوه ويقلب معناه.

وقال في موضع آخر:((**مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبَّحَكِ اللَّهُ**)) [2].

استعمل (عليه السلام) اسلوب القصر والاستثناء لحصر ما بقي من البلاد تحت إمرته ممن يعتمد عليها في حرب العدو في الكوفة، وقد أورد ذلك في معرض التحقير لما في يده من ملك الدنيا وما بقي له من التصرف الحق قبال ما في يد غيره من التصرف الباطل، وكنى بقوله أقبضها وأبسطها عن وجوه التصرف بالكوفة وإنَّ ما في يده وتحت سلطته حقير لا يقاس بما في يد الآخرين من سائر البلاد، وكأنه يقول ما عساي فاعل بتصرفي فيها ((وهذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده من المال القليل إذا رام به أمرا كبيرا: إنما هو هذا الدينار فما عسى ابلغ به من الغرض))[3]، ثم عدل (عليه السلام) من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب ليذم الكوفة وأهلها بقوله((**إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبَّحَكِ اللَّهُ**)) استعار لفظ الأعاصير ليشير إلى أهلها الذين عرفوا بالآراء المختلفة

---

١) الاستغناء في احكام الاستثناء: شهاب الدين القرافي، تحقيق الدكتور طه محسن:٧٧.

٢) شرح ابن ابي الحديد:٣٣٢/١.

٣) شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي البحراني:١٩/٢.

والفتن الكثيرة فخاطبها بقوله((ان لم تكوني إلا أنت عدة لي وجنة ألقى بها العدو، وحظا من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فقبحا لك))[١].

ووجه الشبه بين الأعاصير وبين اختلاف الآراء التي عليها أهل الكوفة هو ما فيهما من الأذى والإزعاج؛ فالإعصار: ريح شديدة تثير الغبار وترتفع إلى السماء كأنه عمود يطلق عليها الزوبعة[٢] وهذا ما يؤدي أحيانا إلى إلحاق الأذى بالمخلوقات التي تمر في طريقها كما يؤدي اختلاف الآراء وكثرة الفتن والشقاق إلى خراب البلاد وتسلط الظالم عليها وهذا ما بينه الإمام (عليه السلام) في خطبته[٣] .

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا،ونرى أنَّه من قصر التعيين؛ لأنَّه يعين المقصور فبعد أن كان الناس يعتقدون انه يملك السلطة على البلاد الإسلامية عين (عليه السلام) ما تحت سلطته منها ونفى أن يكون قادرا على التصرف بغير الكوفة كما هي الحال مع غيره. وبين واجبات الامام تجاه الرعية بقوله:((**إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا**))[٤].

قصر (عليه السلام) ما يجب على الإمام تجاه الرعية على أمور خمسة لابد من توافرها في من يتولى أمر المسلمين فيما يتعلق بالحياة الدنيا والآخرة:
الأمر الأول: هو الإبلاغ في الموعظة، بأن يحاول جاهدا تقريب العباد من اللّه. والثاني: تقديم النصيحة الحقة؛ لإرشاد الناس، ووضعهم على الطريق الصحيح؛ لأنَّ دين المؤمن النصيحة، فلا يخفي عنهم أمرا من الأمور التي تصلحهم في الدنيا والآخرة، والثالث أن يحيي السنة في عمله هذا فلا يحكم إلا بمقتضى القرآن وما ورد عن السنة، ولا يكون لهواه دخل في ما يصدره من أحكام، والأمر الرابع: إقامة الحدود على مستحقيها: وهو من الأمور المهمة وذلك بان يؤخذ القصاص

---

١) المصدر نفسه:٢/٢٠.

٢) ينظر: لسان العرب مادة(عصر).

٣) ينظر: شرح ابن ابي الحديد: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم:٢/٣٤٢.٣٤٣.

٤) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:٧/١٦٧.

من المذنب لا من غيره؛ لأنَّ فيه إجحافا كما يعد مخالفا للشريعة، كما يتبين من عبارة(إقامة الحدود على مستحقيها) أنَّ الاستحقاق للعقوبة ينبغي ان يتحقق أولا قبل القصاص فكل متهم بريء حتى تثبت إدانته، ولاشك في أنَّ من شأن ذلك أن يقيم أمر البلاد فلا تعمها الفوضى والفساد فلا يعود احد في امن على دمه وماله، والأمر الأخير: إصدار السهمان على أهلها: جمع سهم، بمعنى النصيب من الحقوق المالية (على أهلها) المستحقّين وهذا متعلق ببيت مال المسلمين إذ ينبغي أن توزع تلك الأموال على الرعية، وهذا ما افتقدت إليه الأمة، فبعد أن كان قديما يوزع على الجيش والمصالح العامة كالزراعة والتطبيب والتعليم والرعية، أصبح في عهد الإمام (عليه السلام) لا يوزع إلا على الناس، وروي أنَّه قال للناس حين اجتمعوا لمبايعته((**كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا ان أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معي، وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم .. أرضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم**))[1]، ويذكر أنَّ هناك مَن أشار على الإمام (عليه السلام) بأن يعطي المشاكسين لإسكاتهم، فقال: أتأمروني أن اطلب النصر بالجور، والله لو كان المال لي لسويت بينهم، وإنما المال مال الله[2].

وأراد (عليه السلام) باستعمال اسلوب القصر أن يبين على نحو قاطع أنَّ هذه الأمور ينبغي أن يرجع فيها إلى الإمام وحده؛ لأنها تكليفه تجاه الرعية، فبدأ أولا بنهيهم عن الرجوع إلى من لا يتمكّن من إزالة الشّكوى ولا يستطيع حلّ المبرمات المغلقات، ثم اتبعه ببيان ما يجب على الإمام بالنسبة إلى رعيته ليكونوا على علم، فيتابعوا من عرف حقوق الآخرين عليه، ويرفضوا غيره.

ولعلّ غرضه من النفي في قوله ((عليه السلام)) (**إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ**)، قطع الطريق على ذوي الأطماع الفاسدة، ممن يتوقعون انه (عليه السلام) قد يمنحهم من حقوق غيرهم كبيت مال المسلمين، وجاء النفي بـ(ليس)؛ لأنَّها تدل على النفي المؤكد للخبر عن الاسم .

---

١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:١٦٧/٧.

٢) ينظر: شرح نهج البلاغة:السيد عباس علي الموسوي:١٩٤/٢.

رابعا: الاجتماعي: يدور الحديث في هذا المجال عن العلاقات الاجتماعية على وجه العموم، وعلاقة الإمام بأصحابه على وجه الخصوص:

قال (عليه السلام):((.....، **وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّـهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ، .....، وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ**))[1].

يذكر الامام (عليه السلام) الناس بانهم (**إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّـهِ**) وفطرته التي فطر النّاس عليها ويؤكد سبب تفرقهم وتشتتهم بقوله: (**مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ**)، هنا بيّن (عليه السلام) ان السبب هو خبث البواطن وسوء العقائد والنّيات فنتج عن ذلك أنكم أصبحتم كالغرباء فلا يعين أحدكم صاحبه ولا يقويه ولايناصحه ولا يبذل ماله له ولا يقوم بلوازم المودّة[2].

وقد استعمل (عليه السلام) هنا القصر مرتين، الأولى القصر بـ(إنما)، والثاني: بـ(ما)النافية و(إلا).

ولا شك في أنَّ اختلاف السياق إنما يتبع اختلاف مقام الكلام وما يستلزمه من أدوات،وقد وردت (إنما) هنا في سياق يتحدث عن وجوب التراحم والتواد؛ لأنه وصفهم بالأخوة وقد ورد هذا المفهوم في القرآن الكريم وأفاد منه الإمام (عليه السلام) قال تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾[3]، وجاءت(إنما) هنا للدلالة على أنَّ الاخوة تجمعهم في النسب والحب والموالاة لا العداوة والبغضاء والعراك، فهو يؤكد المودة والتحاب وهو أمر قد تصالح عليه الناس وعرفوه، و(إنما) تدخل كثيرا على ما لا يجهله المخاطب كالآية الكريمة، وكذا ما جاء في خطبة الإمام فهو إنما يذكر الناس بحقيقة هم على علم بها.

أما الجملة الثانية (**مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ**) التي استعمل فيها النفي والاستثناء فيكون للأمر ينكره المخاطب، وغالبا ما تأتي(إنما) لتذكير المخاطب

---

١) شرحنهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٧/٢٤٦.

٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي: ٨/٤٦، وفي ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية:٢/١٧٨.

٣) الحجرات/١٠.

بأمر يعرفه فيُذكر بما ترتب على ذلك من مسؤولية، وهو مقام لا يصلح فيه النفي والاستثناء.

فلا يصح ـ مثلاـ ان تستعمل النفي والاستثناء في كلام تحاول فيه ان ترقق فيه شخصا على أخيه وتذكره بما يترتب عليه من حق الاخوة فلا تقول: ما هو إلا أخوك، ولكنك ستقول: إنما هو أخوك؛ لان((إنما أداة رقيقة هامسة لا تزعج النفوس ولا يرفض ما جاء في وعائها، إلا ترى انك تمتص برفق ثورة غضبه وكأنك تربت على كتفه في لين ومودة...، وهل يمكن أن تستسيغ أن تقول: لا تغضب، فما هو إلا صديقك؟ ولا شك ان وراء النفي والاستثناء قدرا من الانفعال والحدة والابتلاء))(١)، وهذا بلا شك أمر قد يختلف باختلاف الموقف، إذ يمكن أن يستعمل النفي والاستثناء إذا تغير الموقف كما يقول الدكتور محمد أبو موسى((يمكنك أن تأتي بالنفي والاستثناء إذا تغير الموقف، وقلت كيف تغضب من فلان وأي شيء يبرر ان تفعل به كيت وكيت، وما عهدناكما إلا صديقين....، وكأنك لا تربت على كتفه في رفق ومودة، وإنما تهزه هزا))(٢). وقال في موضع آخر: ((...**فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ**))(٣).

هذا الفصل من الخطبة يبيّن حال الإمام (عليه السلام) بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ، وما آل إليه الأمر من اغتصاب حقه في الخلافة وأشار فيه إلى انه فكر بالدفاع عن حقه المأخوذ غصبا، لكنه بحث عن ناصر ومعين فيما لو فكر بالمقاومة والدفاع فلم يجد إلا أهل بيته وهم قليلون بالنسبة لمن يعين عليه ويقف ضده، فضنَّ بهم على الموت؛ لأنه يعلم أنه لو قاوم بهم لقُتلوا قبل أن يحصل على مقصوده، فصبر واحتسب، قال فأغضيت جفوني(**على القذى**) وهو ما يقع في العين من تبن وغيره فيحدث ألما شديدا، و(**شربت على الشجا**) والشجى ما يعترض في الحلق فيكون

---

١) دلالات التراكيب ـ دراسة بلاغية : ١٥.

٢) المصدر نفسه:١٥٠.

٣) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد:١٩/٢.

الشرب معه مؤذيا موجعا، وهنا كنى عن احتماله أذاهم بالشرب على الشجا، واستعار لفظ الشرب لما بين الاثنين من عدم التلذذ واستلزامهما الصبر، و(**صبرت على اخذ الكظم**) الكظم، الحلق، أي أنى كنت كالشخص الذي اخذ حلقه بالحنق، من جهة أولئك الذين تقدموا علىّ، وفى شدة كشدة الاختناق (**وعلى أمر من طعم العلقم**) أي أكثر مرارة من طعم الحنظل[١].

وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا، ونرى أنَّه من قصر التعيين؛ لأنَّه هنا عيّن المقصور عليه لإزالة اعتقاد من يظنُّ بأنَّ له ناصرا غيرهم. وقال ايضا: ((... **وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّاعِنْدَهُمْ.**))[٢].

استعمل الإمام (عليه السلام) هنا طريق القصر بالنفي والاستثناء على أنَّه أقوى الطرائق ــ كما يقول الدارسون ــ ويأتي غالبا في مقامات الإنكار[٣] لرد دعوى باطلة وإنكار ما اتهم به وهو قتل عثمان؛ إذ نسبوه إليه (عليه السلام) وهم قد قتلوه بدليل رواية أبي مخنف من قوله (عليه السلام): ((اللهم إنَّ طلحة نكث بيعتي وألب على عثمان حتى قتله ثم عضهني به ورماني اللهم فلا تمهله))[٤].

وقد رد (عليه السلام) دعواهم حين بيّن أنهم إنما دخلوا في قتل عثمان بأحد طريقين:الأول هو الشركة والثاني الاستقلال، وقد وضح الأول بقوله((**فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ**)) ويتعين عليهم حينئذ تسليم أنفسهم لأولياء المقتول ثم يطالبون بالشريك، ووضح الطريق الثاني بقوله (عليه السلام)((**وَلَئِنْ**

---

١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم: ٢/٢٦.٢٧، وشرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:٣/٣١٩.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:١/٣٠١.

٣) ينظر: دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية:٢١٧، ومفتاح العلوم: السكاكي، ضبط: نعيم زرزور: ٢٩٥.

٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي، تحقيق علي عاشور: ٣/٢٦٩.

كَـانُوا وَلُـوهُ دُونِـي)) علـى سـبيل الاسـتقلال فهـم المطـالبون بدمـه ولـيس الإمـام (عليـه السـلام)، وقولـه(ولـي) مـن بـاب حسـب مـن الولايـة إذا ملـك أمـره، و(التبعـة) علـى وزن فرحـة يقـال: لـي قبـل فـلان تبعـة أي ظلامـة ونحوهـا[١]، وقـد جـاء القصـر بـالنفي بـ(مـا) والاسـتثناء؛ لان (مـا) كثيـرا مـا تكـون ردا علـى كـلام أو مـا نـزل هـذه المنزلة(٢) والادعـاء بقتـل الإمـام (عليـه السـلام) لعثمـان والمطالبـة بالقصـاص لـه إنما هو بكلام يصدر من المدعي.

والقصـــر هنـــا مـــن قصـــر الصـــفة(التبعـــة فـــي قتـــل عثمـــان) علـــى الموصـوف(النـاكثين والمـارقين عـن بيعتـه) قصـرا حقيقيـا، ونوعـه باعتبـار حـال المخاطـب قصـر إفـراد؛ لأنـه (عليـه السـلام) أفـردهم بالتبعـة ونفاهـا عـن نفسـه، فقصـر الإفـراد يـراد بـه التخصـيص بشـيء دون شـيء لمـن يعتقـد شـركة موصـوفين فـي صـفة واحـدة.وتحـدث عـن حـال اصـحابه ومـا هـم فيـه مـن التفـرق والتشتت:((...،**مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ**))[٣].

روي أنَّـه (عليـه السـلام) خطـب بهـذه الخطبـة بعـد أنَّ فـرغ مـن أمـر الخـوارج فطلـب مـن أتباعـه التوجـه إلـى حـرب العـدو مـن أهـل الشـام إلا أنهـم نكصـوا عـن نصرته ولم يبق معه إلا القليل منهم بعد أن اخذوا يتسللون ويدخلون الكوفة، فلما رأى ذلـك دخـل الكوفـة فخطـب النـاس بهـذه الخطبـة[٤]، وممّـا ورد فيهـا قولـه:((**مَـا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ**)).

شبههم الإمام (عليه السلام) بالإبل التي ضل راعيها لأنهم متفرقون مشتتون كمـا الإبـل بـلا راع ، وتلـك الإبـل بـلا شـك عرضـة لكـل خطـر كمـا هـي حـال أهـل الكوفة في زمن الإمام (عليه السلام) فهم مختلفو الآراء مشتتو الأفكار، لا يختلفون

---

١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة(تبع).

٢) ينظر: معاني النحو: الدكتور فاضل السامرائي: ١٦٦/٤.

٣) شرح ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:٣٩١/١

٤) ينظر: توضيح نهج البلاغة:١٨٠/١.

عنها؛ لأنها إذا جمعت من جانب لتنتظم تحت نظام انتشرت من جانب آخر فهي لا تنقاد إلا بالراعى فإذا ضل راعيها تفرقت وتشتت[١].

وقد ورد طريق القصر بالنفي والاستثناء هنا؛ لان الموقف يحتاج إلى الإخلاص والتفاني، وهو موقف القبول بأمر الجهاد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ((لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي))[٢].

الجدير بالذكر أنّ اسلوب القصر بالنفي والاستثناء إذا ورد في معرض صورة بيانية كالتشبيه والتصوير فإنَّه يكون أغنى في الدلالة وأكثر قدرة على توليد ظلال المعنى؛ إذ يتضافر التصوير مع التوكيد الذي يمنحه القصر في أداء المعنى المطلوب، ونلاحظ أنَّ التشبيه في الشاهد المذكور جعل المنفي هو المقابل لما دل عليه المشبه به يتبين ذلك إذا تأملنا قوله (عليه السلام)((**مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا**))، فالتشبيه بالإبل المراد منه ذمهم فهم في الغباء كالإبل التي لا راعي لها فهي تخبط خبط عشواء.

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا إفراديا؛ لأنَّه (عليه السلام) أراد تخصيصهم بصفة الضلال والتشتت في الرأي وينفيه عن غيرهم.

---

١) ينظر: توضيح نهج البلاغة:١/١٨٠.

٢) فروع الكافي: محمد بن يعقوب الكليني:٥/٦٤٥.

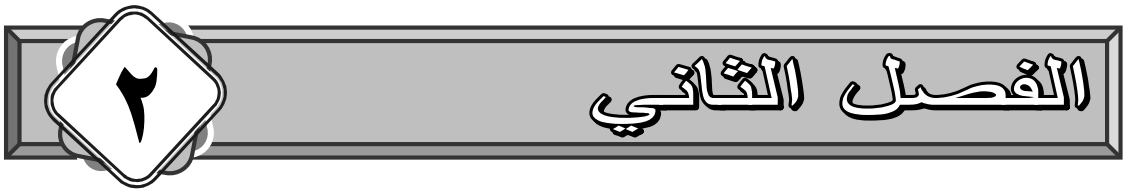

القصر بـ(إنَّما).

ويكون المقصور عليه المتأخر دائما في التركيب، واستدل البلاغيون على إفادتها (القصر) لتضمنها معنى (ما)، و(إلا)؛ لقول المفسرين في تفسير قوله تعالى﴿ \ [^ _ ` a b c d e f g i j k l m n o p q s t u v ﴾[1] بالنصب أي ما حرم عليكم إلا الميتة، وهو مطابق لقراءة الرفع المقتضية لاقتصار التحريم على الميتة والدم فما بعدهما، وقد جاءت(إنما) هنا لإثبات ما ذكر بعدها ونفي ما سواه، واستدلوا على إفادتها القصر صحة انفصال الضمير معها في قول القائل: إنما يسافر أنا، أي ما يسافر إلا أنا[2]، ومما يدل على صدق تضمنها معنى (ما، وإلا) قول الفرزدق[3](الطويل):

أَنَا الذائدُ الْحَامِي الذِّمَار وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

أي ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي، ويرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ تقديم (أحسابهم) على الضمير(أنا) جعل الاختصاص للفرزدق[4]، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا ادعائيا؛ لأنّه يقصد الفخر والاعتداد بنفسه، وأنّه هو الذي يدافع عن أحسابهم دون غيره.

وقول عمرو بن معد يكرب (السريع)[5]:

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وجاراتُها مَا قَطَّرَ الفارِسَ إِلَّا أَنَا

---

١) البقرة/١٧٣.

٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٩٧، والمصباح في المعاني والبيان والبديع:٩٦.٩٧.

٣) ديوان الفرزدق:٢/١٥٣.

٤) ينظر: دلائل الاعجاز:٣٤٣.

٥) لم نجده في الديوان، وهو موجود في فرحة الاديب للغندجاني:٣٠.

وذكر السكاكي وجها لطيفا يسند إلى علي بن عيسى الربعي ((إن كلمة (ان) لما كانت كلمة (إنَّ) لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثمّ اتصلت بها (ما) المؤكدة لا النافية، على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر؛ لأنّ قصر الصفة على الموصوف، وبالعكس، ليس إلا تأكيدا للحكم، الا تراهم متى قلت لمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو، زيد جاء لاعمرو، وكيف يكون قولك: زد جاء، اثباتا للمجيء لزيد صريحا، وقولك: لاعمرو اثباتا للمجيء لزيد ضمنا))[١].

ويرى البلاغيون ومنهم عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز)[٢] والقزويني في (الإيضاح) [٣]أنها أحسن ما تكون موقعا إذا كان المراد بها التعريض بأمر واستدلوا بقوله تعالى﴿ . / 0 1 ﴾[٤]، فليس المراد منه أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن فيه تعريض بذم الكفارفهم من فرط العناد في حكم من ليس بذي عقل[٥]، ومثله قوله تعالى﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾[٦]، وجعل منه قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[٧]

والمقصور بـ(إنما) هو المؤخر دائما، وتأتي لإفادة كل أنواع القصر: الحقيقي التحقيقي، كقوله تعالى﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[٨]، فالمراد أنَّ من بدّل الوصية أو حرفها آثم، وهذا الإثم واقع عليه وحده، وان الله تعالى سميع لما قاله الموصي من العدل والجنف، عليم بما يفعله الوصي من

---

١) مفتاح العلوم: ٢٧٩.

٢) ينظر: دلائل الاعجاز: ٣٥٤,٣٥٥.

٣) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة: ٦٠ـ٦١.

٤) الرعد١٩.

٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٦٠ـ٦١.

٦) النازعات٤٥.

٧) فاطر١٨.

٨) البقرة١٨١.

التصحيح أو التبديل، وقيل: سميع لوصاياكم، عليم بنياتكم[1]، وهذا من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا، والادعائي كقوله تعالى﴿ 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E ﴾[2]، هنا قصرت إرادة الشيطان على إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين بدفعهم إلى الخمر والميسر وبصدهم عن الصلاة وهذا من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا إدعائيا؛ لأنّه جاء على سبيل المبالغة، فالشيطان لا يكتفي بذلك بل يسلك كلَّ طريق ليبعد العبد عن طاعة ربه، وتستعمل (إنما) لإفادة القصر الإضافي بأنواعه الثلاثة: الإفراد كقوله تعالى﴿ 8 9 : ; < = > ? @ A B C D F G H ﴾[3]، والقلب كقوله تعالى﴿ **وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟** ´ µ ¶ ¸ **مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ** ﴾[4]، والتعيين نحو: ما محمد إلا شاعر، وذلك في قصر الموصوف على الصفة، وقولك: ما شاعر إلا علي، وذلك في قصر الصفة على الموصوف لمن ظنَّ أنَّ الشاعر إما علي أو أحمد، من غير أن يعرفه على التعيين، لذلك عينت له إحدى الصفتين وأبقيت الأخرى، أو أحد الوصفين وأبقيت الآخر.

ومن المعاني التي ذكرت لـ(إنما) في الجملة القصرية:

تحقير الشيء وتقليله، والاقتصار على الشيء، ورد الشيء إلى حقيقته[5]، وقد تعددت الأمثلة التي وردت في نهج البلاغة لهذه المعاني، منها:

الأول: التحقير والتقليل: ويرد في المواضع التي يتحدث فيها الإمام عن أحوال الدنيا والإنسان، وما يحصل عليه من مظاهرها الزائلة كقوله (عليه السلام):((**أَيُّهَا النَّاسُ،**

---

١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن:٣٧٣/١، والكشاف:٢٢٢/١.

٢) المائدة ٩١.

٣) الرعد٧.

٤) البقرة١٤.

٥) ينظر:دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة:٥٧٨/١.

إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا ، لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ، إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ))[1]. يقدم الإمام (عليه السلام) في كلماته هذه تصويرا رائعا لحال الإنسان في الحياة الدنيا وما يتهدده من آفاتها، ويدعوه إلى التأمل والتدبر في مصيره وما ينتظره، وقد بدأ أولا بالنداء للفت الانتباه إلى أمر مهم وهو تقلب الدنيا وزوال نعمها، وما فيها من الآفات التي تهدده من كلِّ صوب، وقد شبّه حال الإنسان في الدنيا بالهدف الذي يُنصب ليُرمى بالسهام وأراد بـ(تنتضل) أنها ـ أي الآفات والمتاعب ـ تتسابق لتطاله بأذاها، وجعل المنايا أشخاصا تتناضل بالسهام، ثم انتقل (عليه السلام) ليذكّر الإنسان باقتران كل نعمة من نعم الدنيا بنقمة تصيبه، واقتران كل فرح أو لذة بحزن أو حرمان، وأراد أن يخاطب الناس فيقول: ((إنكم في هذه الدنيا بمنزلة هدف تترامى فيه المنايا بسهامها، وسهامها هي الأعراض والأمراض))[2]، وربما وردت المنايا بصيغة الجمع لتعدد صور الموت بين قتل أو غرق أو حرق أو تردي في مهلكة ما، وربما لتعدد الموتى وكثرتهم. ولا شكَّ في أنَّ لكلِّ فردٍ موتاً مخصصاً به[3].

وقد تضافرت الأساليب البلاغية المختلفة للتعبير عن المعنى المطلوب بدقة وعمق واضحين فقد بدأت بالتشبيه البليغ في سياق جملة قصرية أداتها(إنما) في قوله (عليه السلام)(**(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ)**، ثم الاستعارة والكناية في(**تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا)**، يضاف إليهما التخييل في (**تَنْتَضِلُ)**؛ لأنه عبر عن المنايا بالمتناضلين بالسهام فهي تقصد الإنسان كما تقصد السهام الهدف، كما استعملت الكناية في قوله (عليه السلام) **(مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ)**، إذ كنى عن(**ملذات الدنيا)** بالجرعة وبالأكلة ، وكنّى عن مصائب الدنيا

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٩١/٩.

٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي: ٥٥/٩.

٣) ينظر: المصدر نفسه:٥٥/٩.

ومتاعبها بالشرق والغصص، ولعلَّ من جمال التعبير هنا الإحساس العميق بأنَّ النعم والطيبات في الدنيا لا يمكن أن تكون خالصة من نقم ومنغصات؛ لذا نجده ((عليه السلام) وصل كلامه السابق بما بعده من دون عطف؛ فوصل الجملة السابقة **(مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ)**، بالجملة التي تلتها **(لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ، إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ)**؛ ليشير إلى أنَّ ملذات الدنيا ونعمها دوما مشوبة بالأكدار؛ لذا جاء بالجملة الثانية مباشرة من دون عاطف((لأنَّها توكيد وتحقيق وبيان لما سبق، وفيه زيادة تثبيت له. والمراد بها أنَّ الإنسان لا يكون مشغولا بنوع من اللذات الجسمانية إلا وهو تارك لغيره، وما استلزم مفارقة نعمة أخرى لا يعد في الحقيقة نعمة ملتذا بها))[1].

ومما يلاحظ هنا ورود القصر بأداتين كانت الأولى (إنما) في قوله (عليه السلام)**(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا)** والثانية في (النفي والاستثناء) **(لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ، إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ)**، ولاشك في أنَّ اختلاف الأداة هنا جاء لاختلاف الموقف أو الفكرة التي أراد الإمام أن يعبر عنها، فنجده في الجملة الأولى**(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا)** لا يتحدث عن أمر مجهول لدى المخاطب فهو ربيب القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي كل منهما حديث متواصل عن الدنيا وتقلب أحوالها وزوال نعمها، ولعلّ المراد من الحديث عنها ـ هنا ـ ليس العلم بتلك الأمور فهي معلومة لديه ولكن المراد منها إفادة معنى ثانوي هو التعريض، وهو((

---

١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:٩/٥٥.

استعمال الكلام في معناه ليلوح به الى غيره))[1] الذي يحتاج إلى فكر واع وعين بصيرة تثير في نفس صاحبها إحساسا يدفعه إلى العمل الصالح الذي يجنبه عذاب الآخرة ويجعله ممن يتنعمون بنعيم الآخرة الذي لا تشوبه الأكدار ولا تزول نعمه، وهي من الفوائد التي أثبتها الشيخ عبد القاهر الجرجاني لـ(إنما)؛ إذ قال ((ثم اعلم أنَّك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، نحو إنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى ﴿ " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 ﴾[2]، أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار وأن يقال إنَّهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وإنَّكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب))[3]، أما الجمل الأخرى التي كان القصر فيها باستعمال (النفي والاستثناء)؛ فلأنَّه من المقامات التي تستدعي نبرة قوية تنبه المخاطب إلى أمور غير مجهولة لديه ولكنّها منزلة منزلة المنكرة، فكثير من الناس ينسى أو يتناسى أنَّ ملذات الدنيا ونعيمها مشفوعة دوما بألم وعذاب فتراه يفرح مبتهجا بما في يده من بهارجها فيفرح وكأنَّ الحزن قد نسيه إلى الأبد ولن يزوره يوما، ويسرف إن رزق بنعمة وكأنَّه يجهل بأنَّ الغني اليوم قد يفتقر غدا، وهذا الاستعمال قد ورد في القرآن كثيرا نجده حين ((يصف القرآن الكريم غيبا خارقا، ماضيا أو آتيا، أو جزاء خاصا أو وصفا ثابتا، أو حالا مثيرة، أو تصويرا لدقائق حال المتكلم من البشر وخافي خواطره، وحينئذ يشع هذا الطريق أطيافا وظلالا))[4].

ومن الجدير بالذكر ـ هنا ـ أنَّ اختلاف الأداة لم يكن هو الشيء الوحيد الذي كان سبيلا واضحا لأداء المعنى المطلوب، بل يضاف إليه الاختلاف في نوع

---

١) المعاني في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين: ٢٩٩.

٢) الرعد/١٩.

٣) دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية: ٢٧٢.

٤) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: الدكتور صباح عبيد دراز:١٦٦.

الجمل التي استعملت؛ إذ جاءت (إنما) في سياق جملة اسمية، فيما وردت (لا وإلا) في سياق جمل فعلية متعددة، على أنَّ المراد في الجملة الأولى تصوير حال الإنسان في الدنيا فهو هدف دائم للمنايا، بل إنَّ تلك الصورة ثابتة مستمرة على مدى الدهور، حتى أنَّ الجملة جاءت إسمية في خبرها لتؤكد على الدوام والاستمرار الثبوتي، فلو كان خبرها فعلا مضارعا مثلا لدلّت على الاستمرار التجددي؛ في حين استعمل الفعل مع(النفي والاستثناء)؛ لأنَّ الحديث عن أمور متجددة تحصل في كل حين. وقال(عليه السلام) في موضع آخر مذكرا الإنسان بما يحصل عليه من الدنيا حين وفاته:((**عِبَادَ اللَّهِ ....، أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، ..، وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ مُنْعَفِراً عَلَى خَدِّهِ**))[1].

نجد في هذا الفصل من الخطبة تذكيرا للإنسان بنعم الله تعالى عليه، وتحذيرا من المصير الذي ستؤول إليه أموره في الحياة الآخرة إن لم يجهز متاعه ويستعد بترك المعاصي والبدار إلى التوبة والإنابة قبل فوات الوقت، وقد تضافرت أساليب مختلفة لأداء المعنى الذي أراده الإمام (عليه السلام)؛ إذ بدأ هذا المقطع من الخطبة بالنداء(**عِبَادَ اللَّهِ...**) وقد حذف حرف النداء لاهتمامه بما يريد أن ينبه الناس إليه من أمر في سياق زخر بمعانٍ مألوفة مأنوسة تنبع من أفكار قريبة إلى النفوس، وتستشعر فيها النفس تمهيدا لأمر أو موضوع نكاد نتلمسه بسهولة خلف العبارات الواضحة فكان أن جاءت الفكرة مسبوقة بـ(إنما)، قال (عليه السلام): ((**وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ مُنْعَفِراً عَلَى خَدِّهِ**)) ليبيّن أنَّ ما يحصل عليه الإنسان من هذه الدنيا الواسعة التي كنى عنها بقوله(ذات الطول والعرض) حقير جدا لايتجاوز مساحة على الارض مقدارها بمقدار قامته فحسب، فلا الأموال ولا الأولاد ولا غيرهما مما قضى حياته في تحصيلها ينفعه يوم الحساب، وهو أمر لا يمكن نكرانه، وقد استُعملت (إنما) في خير موضع هنا، فهي((أداة أليفة تقع على ما دنا من القلوب، وخالط الإفهام))[2]، ونجدها لتمكنها تجعل من((الكلام السابق عليها في أكثر الأساليب كأنه تهيئة للفكرة التي دخلت عليها،

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٦/٢٧٥.

٢) دلالات التراكيب دراسة بلاغية: الدكتور محمد محمد أبو موسى: ١٥٠.

وتمهيد لها))[1]، ونجد ((هذا التمهيد يقوى حتى لتكاد النفس اليقظى والفهم المتسارع يدرك الفكرة التي دخلت عليها قبل قراءتها أو سماعها..))[2].

وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا، فليس للإنسان في قبره من ملك أو مال إلا ذلك الكفن، ولا غرابة في أنّه (عليه السلام) حين خطب بهذه الخطبة اقشعرت الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب[3]، وهكذا هو (عليه السلام) يذكر دوما بزوال نعم الدنيا الغرور فليس هي إلا ظل يستظل به الإنسان إلى أمد قريب قال (عليه السلام): ((..... ، **فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ**))[4]. جاء قوله (عليه السلام) ((**فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ**))[5]، ليذكّر الناس بأمر معروف لديهم وقد ذكره الباري في كتابه العزيز وشبّه الأجل بالظلِّ الممدود؛ لأنَّ الظل له زمان محدد ثم يزول فهو غير دائم، وأنَّ حياة الإنسان في هذه الدنيا ذات وقت حدّده الباري، فكل نفس ذائقة الموت لا مفرَّ منه ولا مهرب، فما يتحدث عنه (عليه السلام) أمر غير قابل للرد أو الجدل، وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا حقيقيا تحقيقيا؛ فحياة الإنسان بالنسبة إلى غيرها كوجوده تعالى محدودة وعمره معدود بالسنوات، وهو حقيقي تحقيقي؛ لأنّه(عليه السلام) يتحدث عن واقع متحقق على سبيل القطع ليس فيه مبالغة.

وكما أكثر الإمام (عليه السلام) من الحديث عن الدنيا وحذر من الاغترار بها أكثر من الحديث عن أصحابه وبين احوالهم وما هم فيه من التخاذل في كثير من المواقف، منها حديثه بعد موقعة صفين حين كان النصر وشيكا لكنهم أضاعوه بسبب تخاذهم وتشتتهم قال (عليه السلام):((**أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ**

---

١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية: الدكتور محمد محمد أبو موسى:١٥٠.

٢) المصدر نفسه:١٥٠.

٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، السيد عباس الموسوي:٤٩٣/١.

٤)شرح نهج البلاغة: ابنأبيالحديد:٣٨٧/٦.

٥) المصدر نفسه:٣٨٧/٦.

كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا.))[1]. جاءت هذه الخطبة في ذم أهل العراق؛ لتثاقلهم عن قتال معاوية وأتباعه، وتخاذلهم ولجوئهم إلى التحكيم، بعد موقعة صفين، حين كان النصر وشيكا لولا تلك الفئة من جيش الإمام (عليه السلام) التي انشقت بسبب حيلة معاوية وعمرو بن العاص التي أدت إلى زرع الخلاف بين صفوف الجيش، مما دفع الإمام (عليه السلام) إلى ذمهم لتخاذلهم واختلافهم، وقد عبر (عليه السلام)عن ذلك بأوصاف خمسة مثلت حالهم أحسن تمثيل،((فحملها يشبه تهيؤهم للحرب واستعدادهم لها، وإتمام الحمل يشبه مشارفتهم لاستئصال أهل الشام والظفر على المقصود، والإملاص يشبه إجابتهم إلى التحكيم وجنوحهم إلى السلم ورجوعهم عن العدو بعد قرب الظفر وظهور إمارات الفتح، فان ذلك رجوع غير طبيعي وغير معتاد للعقلاء كما ان الإملاص أمر غير طبيعي وخارج عن العادة وموت القيم وطول الايم يشبه بقاءهم بلا صاحب الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم وتمادي ذلتهم، كما ان موت قيم المرأة مستلزم لطول ضعفها وتمادي عجزها))[2].

ونلحظ في كلام الإمام (عليه السلام) ألماً وحسرةً من أهل العراق ممّن سكتوا عن الحق ولم يفصحوا عن موقفهم مما جرى، وكأنهم رضوا بما آلت إليه امور العباد والبلاد، فجاء التعبير بـ(إنما)؛ لدلالتها على قصر المعنى التشبيهي بين حال هؤلاء الذين راحوا يلهثون وراء الدنيا وزينتها، بعد أن بات النصر وشيكا على الناكثين والقاسطين والمارقين، وحال تلك التي أتمّت حملها، فإذا ما قربت ساعة الولادة أسقطته.

وقد تضافر القصر مع التشبيه لرسم صورة معبرة عن حال المخاطبين على لسان الإمام (عليه السلام)، فقد بنيت العبارة على التشبيه ثم أضيف إليها القصر ليفيدها توكيدا وحصرا للمشبه بالمشبه به، وقد منح التشبيه الفكرة وضوحا حين بيّن الإمام حال أهل العراق حين تخاذلوا وتسببوا في الهزيمة، ثم جاء القصر ليضيف

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٢٧/٦.

٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:١٥٠/٥.

إلى معنى التشبيه معنى المبالغة والتأكيد فبين أنهم لا يشبهون إلا الحامل بتلك الصفات التي ذكرها في خطبته ولا شبيه آخر لهم.

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا ادعائيا؛ لأنّه جاء على سبيل المبالغة، فقد يوجد للمقصور شبيه آخر لكن تشبيههم بحال تلك المرأة أكثر دقة[١].

.**الثاني : الاقتصار على الشيء:** ويأتي في المواضع التي يتعين فيها أمر أو صفه معينه من بين أمور كثيرة أو صفات متعددة، منها قوله (عليه السلام):((... **كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، ...، وَاللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ،...، فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ، إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ**))[٢]. اختلف شرّاح النهج فيمن يقصده الإمام (عليه السلام) بهذا الكلام، فقد ذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ فيها إخباراً عن عبد الملك بن مروان الذي ظهر في الشام ثمَّ ملك العراق وقتل ما قتل من العرب أيام عبد الرحمن الأشعث، وأيام مصعب بن الزبير[٣]، فيما ذهب ابن ميثم البحراني وآخرون إلى أنَّ الإمام يومئ به إلى الحجة المنتظر(عجل الله تعالى فرجه الشريف) استنادا إلى الصفات التي ذكرها عليه السلام، وأنَّ فيها إشارة إلى حكومة بعض أفراد بني مروان، أو ظهور السفياني الذي يسبق ظهور المهدي[٤] ونرى أنَّه الأرجح.

من الجدير بالذكر أنَّ الإمام (عليه السلام) في المواضع التي يتحدث فيها عن أمور تعد من الغيبيات يصدرها بقوله: كأنّي، كما في قوله: كأنّي بك يا كوفة،

---

١) ينظر: أساليب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية، الدكتور عامر بن عبد الله الثبيتي،:٦١٦.٦١٧.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم: ٤٦/٩.

٣) المصدر نفسه:٤٠/٩ وما بعدها.

٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني١٥٨/٣ وما بعدها، و نفحات الولاية: ناصر مكارم الشيرازي:٣٣٨/٥ وما بعدها.

وقولـه: لكـأنّي أنظـر إلـى ضـليل قد نعق بالشـام، وقولـه: كـأنّي بـه وقد نعق بالشـام. ولعلَّ ذلك يرجـع إلـى أنَّـه (عليـه السـلام) يـرى الأمـور بعين بصـيرته ((لمّـا أُفيض علـى نفسـه القدسيّة من أنـوار الغيـب علـى سـبيل الإلهـام من قبـل الرسـول(صـلى الله عليه وآله) وهي تشبّه المشاهدة بعين البصر في الجلاء و الظهور الخالي عن الشكّ))[1]، لـذلك حسُن تصـدير الكـلام بالتشـبيه، وقـد أراد الإمـام (عليـه السـلام) بقولـه: **(وَاللَّـهِ لَيُشَـرِّدَنَّكُمْ فِـي أَطْـرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّـى لَا يَبْقَـى مِـنْكُمْ إِلَّا قَلِيـلٌ كَالْكُحْـلِ فِـي الْعَيْنِ..)** أنـه سيفرقهم و يشتت شملهم حتى لا يبقى منهم إلا أثر؛ لذا شبههم ببقايا الكحل في العين كناية عن بقاء أقلهم وحذّرهم من أنّهم سيبقون على هذه الحال من الفرقة والتشتت إلى أن يعودوا إلى صوابهم فيتحدوا ليتمكنوا من القضاء عليه[2]؛ وفي ذلك دعوة منه (عليه السلام) لهم ليكونوا أهلاً للتخلص من هذه الحال، إذ ((أمرهم بـأن يقتفوا الطـرق الواضـحة والآثـار الظـاهرة ومـا هـو عليـه فإنـه أقـرب مـا يكـون إلـى النبوة، وآثارها فيه بادية ظاهرة بل هو امتداد لها وأعظم معالمها و أرفع آثارها))[3].

ونجد لأسلوب القصر بأدواته المختلفة نصيباً في التعبير عن الأحداث التي أخبر بها الإمام (عليه السلام): **(وَاللَّـهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِـي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّـى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ)** نراه (عليه السلام) قد استعمل النفي والاستثناء في قصر ما يُبقي السفياني من الناس على القليل فقط؛ لأنَّ الحديث هنا عن المجهول وغالبا ما يأتي النفي والاستثناء للتعبير عن المغيبات، فيما نجده (عليه السلام) في قوله**(وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ، إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَـهُ)** قد انتقل بحديثه إلى قصر الهدف الذي يدفع بالشيطان إلى تسهيل طريق الضلال على العباد على رغبته في أن يتبعه الناس لذلك استعمل القصر بـ(إنما) لأنَّ ذلك الأمر واضح لدى الناس لا يختلف فيه اثنان، فليس للشيطان من هدف سوى غواية الناس بشتى الطرق لإتباعه بدليل الآية القرآنية الكريمة ﴿ V U W X Y Z [\ ﴾

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني:١٣٩/٣.

٢) ينظر: توضيح نهج البلاغة، محمد الحسيني الشيرازي:٣١٥/٢.

٣) المصدر نفسه:٣١٥/٢.

[_ ` a b ﴾[1] والقصر في الموضعين من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا أفاد التعيين، وقد جاء القصر في سياق جملة فعلية فعلها مضارع لأسباب، منها الحديث عن وقائع ستحصل في المستقبل وهو من دلالات المضارع، يضاف إلى ذلك أن الفعل المضارع يدل ببنيته الصرفية على التجدُّد والحركة والحيوية في التعبير عن الحدث، وذلك مما يناسب سياق الحال في هذه الخطبة. وقال عليه السلام في موضع آخر في حصر أسباب وقوع الفتن بين الناس:((**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ**))[2]. فقد شهد القرنان الأول والثاني الهجريان أنواعا من الفتن كادت تودي بجهود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في إرساء دعائم الإسلام الحنيف، ولاسيما تلك التي أعقبت رحيله وأعادت اغلب مظاهر الجاهلية من غياب القيم والمثل الإسلامية وشيوع الفساد والظلم، واستمرت تلك الأحوال حتى إذا وصلت الخلافة إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كانت أمور الخلافة أكثر تعقيدا ولكنه استطاع بجهاده أن يعيد الحياة إلى الإسلام من جديد، غير أن الفتن لم تنتهِ بل زادت حدة وشراسة كان من نتائجها أن قُتل (عليه السلام) ظلما في محرابه، وقد تحدث (عليه السلام) في أغلب خطبه ـ وهذه منها ـ عن تلك الفتن موضحا أسبابها وأخطارها، إذ نجده (عليه السلام) يحصر أسباب وقوع الفتن في أمرين: إتباع الهوى، وابتداع الأحكام التي لا أساس لها في الإسلام، وهو يوبخ الذين يتبعون الأهواء المضلة والآراء المبتدعة التي تخالف ما انزله تعالى في كتابه العزيز، لما في ذلك من عدول عن الطريق المستقيم الذي سيؤدي بلا شك إلى وقوع الفتن وانتشار الخلافات التي تفسد نظام الله تعالى وما وضعه من الشرائع والسنن ومن ثمّ فإنها توجب خراب العالم.

---

١) الحجر:٣٩/٤٠.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٣/٢٤٠.

وقد أشار (عليه السلام) في حديثه هذا إلى أنَ ما جرى بين المسلمين من خلافات بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويمكن أن يعم هذا الأمر على كل ما يشبهه من أحوال الخلق ـ إنما يعود إلى هوى النفس الأمارة بالسوء التي تدفع صاحبها إلى مخالفة أوامر الخالق تعالى رغبة في المنصب والرياسة وطمعا في مظاهر الدنيا الزائلة، فيندفع إلى ابتداع أمور يخالف بها قوانين السماء ويتبعه الضالون من دون تفكّر وتعقّل.

وقد جاء القصر هنا بـ(إنما)؛ لان الحديث عن حقيقة واقعة وهي أنَّ الفتن لا تكون إلا نتيجة للأهواء والأفكار التي تخالف ما جاء به الباري عز وجل، وأفاد استعمال(إنما) ايضا في توكيد أمور مهمة تهم المسلمين قد أدركها الإمام (عليه السلام) بخبرته وما حباه الله تعالى من علم بأحوال الدنيا ومنها ما بيّنه في العبارة التي تلتها:((**فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ**))، نلاحظ أن هذه العبارة ذات صلة وثيقة بما قبلها وأنها قد حظيت بالتوكيد مرتين:

الأولى: بما أفادته من سياق (إنما)؛ فالفتن لاشك في أنّها نابعة من الباطل وإتباع الهوى، والثانية: من التوكيد بـ(أن)، وهذا التوكيد بالقصر أولا وبأداة التوكيد(أن) ثانيا إنما جاء لبيان خطورة الأمر الذي يتحدث عنه (عليه السلام)؛ فالحياة ما هي إلا عبارة عن حق وباطل، لكن السياسات المخربة على مدى التاريخ لم تترك الحق حقا واضحا لِيُتبع ولا الباطل باطلا خالصا ليُتناهى عنه؛ لأنّ الحق لا يحقق منافعهم وهم بحاجة دائما إلى إلباسه لباس الباطل وإلباس الباطل لباس الحق، ونبه (عليه السلام) على أنّ ذلك لا يمنع من البحث والتحقق لتمييز الحق من الباطل.

وقد ألقت الجملة الاسمية بظلالها على معنى الكلام ومنحته ثباتا واستمرارا في الموضعين:((**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ،...، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ، ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ**)، وقد تحصل الثبات والديمومة باستعمال الاسم في صدر الجملة(بدء وقوع الفتن)(أنّ الباطل .... أنّ الحق)، فيما أفاد الاستمرار استعمال الأفعال(تتبع، تبتدع، خلص) على التوالي لأنّ الجملة الاسمية إذا احتوت في مكوناتها فعلا فستتداخل فيها

دلالات الاسمية والفعلية معا، وتحمل دلالات لا تحملها الجملة الاسمية التي تخلو من الفعل في خبرها ومنها الدلالة على الثبوت والتجدد، فإذا أضفنا إليها وجود لواحق أخرى مثل(أن) هنا فاننا نجدها قد تضمنت توكيدا للمعنى يضاف إلى ما سبق من معان.

ونرى انه من قصر الصفة على الموصوف قصر تعيين؛ إذ يعين الأمور التي تؤدي إلى وقوع الفتن، وهي جملة من الأعمال والأفكار التي لاشك في آثارها السيئة على الفرد والمجتمع التي يدركها كل ذي عقل ودراية.

ومن الأمور التي تحدث عنها الإمام (عليه السلام) قضية التحكيم في وقعة صفين وجاءت (انما) في سياقه لتعين الهدف الذي دفعه (عليه السلام) الى النزول عند رغبة اصحابه على الرغم من رفضه لبعض من يتصدى للحكم : ((... **فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، ..إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ..**))[1]. ذهب الخوارج الى تكفير أهل الكبائر، وقالوا بأنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد كفر بسبب قبوله التحكيم كما كفّروا من اتبعه على تصويب التحكيم الذي جرى في وقعة صفين حتى أنَّهم كانوا يقتلون من يخالف اعتقادهم هذا بحجة أنَّ علياً (عليه السلام) قد قبل تحكيم الأفراد في مقابل القرآن؛ لذا يُعدُّ كافرا فردَّ عليهم الإمام (عليه السلام) بأنّه لم يقبل بالتحكيم بل فُرض عليه فرضا هذا أولا، وثانيا لو افترض (وفرض المحال ليس بمحال) أنّه ضلَّ وقبل، فأيُّ ذنب لأتباعه ليُكفّروا ويُقتّلوا، فلا حق لهم في تكفير أمّة محمد (صلى الله عليه وآله)، ثم ذكر أنّه (عليه السلام) أراد بقبوله التحكيم الذي اضطر إليه بسبب ضغطهم أن يحكم القرآن لا الأفراد كما يزعمون، قال(عليه السلام):((**فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ،..**)). ونرى ــ هنا ـ أنَّه (عليه السلام) قصر نيته حين قبل بالتحكيم على إحياء المبادئ التي أحياها القرآن الكريم، وإماتة ما أمات، فالحكمان إنما يمثلان القرآن وينبغي لهما أن يحكما بموجبه ، والواقع أنّهما

---

١) شرح نهج: ابن‌أبي‌الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم: ١١٢/٨.

خالفا القرآن وضلّا عنه؛ لأنَّ القرآن الكريم قال: ﴿ u t s r q v w x y z { | } ﴾[1]، ولـيس مـن شـكٍّ فـي بغـي معاويـة وأتباعـه؛ لأنَّهم شـقوا عصـا الطاعـة وخرجـوا علـى أمـر الإمـام وكـانوا يعلمـون علـم اليقين بأنَّـه علـى الحق، وحين اضـطر (عليـه السـلام) إلـى قبـول التحكيم لـم يختـر المحكمين وإنّمـا هـم الـذين عيّنوهمـا، بـل رفض الأشـعري؛ لأنّـه يُغلـب فـي مثـل هـذه المواطن فالمهمـة اكبر منـه وهو يقابـل رجـلاً ماكراً كعمرو بـن العـاص، قـال (عليـه السـلام): ((**إِنَّمَـا اجْتَمَـعَ رَأْيُ مَلَـئِكُمْ عَلَـى اخْتِيَـارِ رَجُلَـيْنِ، أَخَـذْنَا عَلَيْهِمَـا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ**))، فقصـر اجتمـاع رأيهم علـى اختيـار هذين الرجلين دون غيرهمـا؛ لـذا ((اضـطر الإمـام إلـى أن يشـترط علـى الحكمين أن يحكمـا بالعدل وإلا فـلا حكـم لهما))[2]، وهذا ما حصل إذ خالفا الحق والعدل واتبعا هوى نفسيهما فسقط حكمهما لسقوط مـا اشترطه عليهمـا الإمـام من الحكم بالعدل والاهتداء بـالقرآن الكريم فضـلا عن غفلة أبي موسى الأشعري.

ونجد في هذا الفصل من الخطبة مجيء(إنما) في سياق جملتين قصريتين: الأولى قوله (عليه السلام) ((**فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ**)) والثانيـة قولـه (عليـه السـلام) ((**إِنَّمَـا اجْتَمَـعَ رَأْيُ مَلَـئِكُمْ عَلَـى اخْتِيَـارِ رَجُلَـيْنِ، أَخَـذْنَا عَلَيْهِمَـا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْـهُ**))، وقد وردت(إنّما) فـي سياق جملتين فعليتين كـان الفعل فـي الأولـى مبنيا للمفعول وفـي الثانيـة مبنيا للفاعل، ولا شكَّ في اختلاف دلالة الصيغة في كلٍّ منهما، ونرى الفعل في الأولـى يُبنـى للمفعول لأنَّ عظم الحدث وأهميته حالت دون ذكره يضاف إليه عدم الاهتمام بالفاعل أصـلا؛ لأنَّـه غيـر مرضـي عنـد الإمـام، فيمـا ذكـر الفاعـل فـي الثانيـة؛ لأنَّ الإمـام (عليـه السـلام) أراد أن يبـين أنَّـه لـم يتـدخل فـي اختيـار الحكمـين؛ لأنَّ الأمـر بالنسـبة إليـه

---

١) الحجرات/١٠.

٢) شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي: ٣٦١/٢.

واضح لا يحتاج إلى تحكيم، وقال(رأي ملئكم) ليثبت للمخالفين من أتباعه أنّهم قد ارتضوا ما ارتضاه أسيادهم فالملأ هم أشراف القوم وسراتهم[1].

والقصر في الموضعين، قوله (عليه السلام): ((**فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ**))، وقوله: ((**إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ**)) من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا أفاد التعيين في الأولى وأفاد القلب في الثانية، إذ عيّن المطلوب من الحكمين في الأولى وهو الحكم بالحق والعدل في ضوء القرآن الكريم، فيما رفع الشك إن وجد لدى بعضهم حين بيّن أنَّهم اتفقوا على اختيار الرجلين وليس له يد في الاختيار. وقد أكد كلامه هذا في موضع آخر قال (عليه السلام): ((**إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. هذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَان، وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَان. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ.**))[2]. **فقد** بدأ (عليه السلام) كلامه بالتأكيد على أنَّه لم يحكّم الرجال كما ادّعى المدّعون ليدفع الشبهة ويبطل ادعاءهم بأنّه قد حكّم من لاحقَّ له بالتحكيم، وقصر التحكيم على القرآن فلا يجوز الاحتكام إلى غير القرآن والسنة؛ قائلاً: ((**إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ**))، وهذا هو الواقع الذي لاشك فيه، ثم قال (عليه السلام): ((**هذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ**)) ليبيّن أنّ الحكم يؤخذ من كتاب الله سبحانه من فاتحته إلى خاتمته مثلما ورد في نص العهد ((وإنَّ كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته))[3]، ثمّ انتقل إلى توضيح قضية مهمة وهي أنَّ ما يصدر عن الحكمين على فرض معرفتهما به إنما جاء على أنَّ القرآن ((**لاَ يَنْطِقُ بِلِسَان، وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَان. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ**))؛ لأنَّ القرآن يحتوي على جملة من الأحكام الكلية وليس له من دور في التحكيم من خلال نفسه، بل يحصل ذلك بوساطة أهل الذكر العالمين بالقرآن القادرين على استنباط الأحكام في المسائل التي تعترض المسلمين.

---

١) ينظر: المعجم الوسيط (ملأ).

٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١٠٣/٨.

٣) المصدر نفسه:١٠٣/٨.

وقد ورد القصر هنا بـ(إنما)؛ على أنَّ الموقف يتطلب جوا من التهدئة، ويستدعي لطفا في عرض الفكرة؛ ذلك بأنَّ الإمام يقف أمام جماعة معترضة على أمر من الأمور الحاسمة في حياة المسلمين ولا شك في ان أي تشدد في رد اعتراضهم ستكون له عواقبه الوخيمة، فكان أن جاء القصر بـ(إنما) لتؤدي وظيفة إبلاغية غاية في الدقة، وقد ورد القصر في ثلاثة مواضع: الأول ((**إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ**)) وهنا جاء من قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا، والثاني: ((**هذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مسطورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ**)) وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا، أفاد التعيين، والثالث: ((**لاَ يَنْطِقُ بِلِسَان، وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَان. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ**)) من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقياً أفاد التعيين ايضا[1]. ولاشك في ان تلك الرؤى انما تصدر عن رجل عرف ما يدور حوله من امور العباد وادرك ما ينبغي على الامام من واجبات تجاه الرعية، وقد عينها في قوله :((.... **إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ، عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي**))[2]. إذ نجده في هذا الفصل من احدى خطبه التي اشتملت على ثلاثة أقسام مهمة: الأول بيّن فيه صفات الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وإنَّه خير البرية طفلا وكهلا، والثاني ذمُّ بني أمية، والثالث نصح العباد ونبههم إلى ضرورة الحذر وعدم الاستجابة إلى الأهواء، والسعي لتحصيل العلم والانتهاء عن المنكر ونهي الآخرين عنه.

وقد بدأ (عليه السلام) هذا الفصل بتقرير حقيقة تقول: إنَّ العين التي حباها الله تعالى إدراكا هي التي ينفذ طرفها في الخير، وإنَّ الأسماع التي حباها الله إدراكا

---

١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:١٠٣/٨ ، وشرح نهج البلاغة: ابن ميثم ١٢٠/٣ وما بعدها. ومنهاج البراعة: حبيب الله الخوئي: ١٥٢/٨ وما بعدها،

٢) شرح نهج: ابن‌أبي‌الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:١٦٧/٧.

هي التي تسمع النصيحة وتقبلها، ثم أخذ ينصح الناس وينبههم ويحذرهم من الانقياد إلى هوى النفس والغرق في ظلمات الجهل لما له من أثر بالغ في فساد النفس بل وإفساد الآخرين؛ لأنَّه يسعى بين يدي الضلال، وذكرهم بأنَّ وظيفة الإمام تنحصر في أمور خمسة وضحها (عليه السلام) بقوله: ((**لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا**))، ثمَّ ختم كلامه (عليه السلام) بدعوة الناس إلى ترك المنكر ونهي الآخرين عنه قال (عليه السلام): ((**وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي**)). ونجد هنا أنَّ جملة (**وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**) تدعو إلى نهي الآخرين عن المنكر، ثم عطفت عليها جملة (**وَتَنَاهَوْا عَنْهُ**) التي تدعو إلى الانتهاء عن المنكر، ثم أُردفت بعبارة قصرت جواز النهي عن المنكر على من انتهى عنه أولا، قال عليه السلام: (**فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي**). وهذا كلام يحتاج إلى توضيح: فلعلَّ قائلاً يقول إنَّ النهي عن المنكر من الواجبات غير المشروطة فهو واجب على البر والفاجر، فلماذا قصر حق النهي على المنتهي فقط؟ وقد نقل ابن أبي الحديد رواية مفادها((أنَّ الحسن البصري قال للشعبي: هلا نهيت عن كذا! فقال: يا أبا سعيد، إنّي أكره أن أقول ما لا أفعل. قال الحسن: غفر الله لك! وأيّنا يقول ما يفعل! ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر!))[1].

ونرى أنَّ من قرأ القرآن واطلع على سيرة أهل البيت يمكن أن يستشف من وراء حديث الإمام (عليه السلام) رغبته في تحقيق الكمال في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا الاشتراط على الناهي أن يبعد نفسه عن المنكر أولا، وهي من الاخلاق التي دعا اليها الدين الاسلامي، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر اذا بدأ بنفسه كان حقيق على الناس التصديق به، وكان تأثيره فيهم واضحا قال تعالى﴿ t u v w x y z { | ﴾[2]، ونعتقد بأنَّ الإمام

---

١) شرح نهج: ابن‌أبي‌الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم: ١٧٠/٧.

٢) الصف ٣.

كان يصدر في كلامه هذا عن أفعاله هو (عليه السلام)، فقد أشار في مواضع كثيرة من نهج البلاغة إلى أنَّه لم يأمر الناس أو يدعوهم لشيء قبل أن يلتزم به كما في قوله (عليه السلام):((**أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ،إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا**))[1]. وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا ادعائيا؛ لما يستشعر فيه من المبالغة فالناهي عن المنكر لا يشترط منه الابتعاد عن المعاصي؛ لأنَّه قد ينهى الآخرين عن ارتكاب المحرمات لما وجد فيه من أمور تكرهها النفس أقلها تأنيب الضمير، فالتديّن فطري لدى الإنسان، ولكن نفسه الأمارة بالسوء قد تتغلب عليه فتدفعه إلى المعصية، وقد أفاد القلب هنا، لأنَّ ظاهره شرط الانتهاء وهو مخالف لاعتقاد الناس، ونرى أنَّ مجيء القصر في سياق جملة مبنية للمفعول قد منح الكلام بعدا بلاغيا ودلاليا متميزا؛ فدلالة الماضي هنا أنَّ الناس قد أُمروا بالنهي عن المنكر في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) وزمنهما سابق على زمن الإمام(عليه السلام) يأمر به الإمام عليه السلام، وهو معنى مستفاد من الصيغة ، فهو أمر قد وقع وتحقق قبل أن يأمر به الإمام (عليه السلام)، أما بناؤه للمفعول فلأنَّ الفاعل معروف لدى المتلقي، فليس هناك من لا يتبادر إلى ذهنه ما جاءت به تعاليم الإسلام حين يذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبني الفعل للمفعول للعلم بالفاعل أولا، ولتركيز الاهتمام على ما هو أهم وهو النهي عن المنكر لما فيه من حفظ لتعاليم الدين الحنيف ثانيا.ولعل من مصاديق الانتهاء عن المنكر الاعتراف بأن المالك الحقيقي لكل شي في الكون هو الخالق العظيم ومنه المال؛ إذ يجب على من يتولى تدبير امور الرعية ان يقسمها بينهم بحسب الاستحقاق، قال (عليه السلام) في هذا السياق: ((... **لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ!. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اللّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ.**))[2]. جاءت هذه الخطبة لرد المعترضين على مذهب الإمام (

---

١)شرح نهج: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:١٠/١٠، وينظر: نفحات الولاية: ناصر مكارم الشرازي:٤/٢٩٩، ٣٠٠.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٨/١٠٩.

عليه السلام) في تقسيم الأموال من بيت مال المسلمين؛ إذ اقترح عليه بعض أصحابه إغداق الأموال على الأشراف وزعماء القبائل وعدم تسويتهم بعامة الناس وزعموا أنَّ ذلك يساعد في ترسيخ قواعد الحكومة ومن ثمّ يمكن للإمام (عليه السلام) أن يعود إلى التسوية في العطاء، غير انه (عليه السلام) رفض ـ بعد أن تسلم الخلافة ـ أيَّ اقتراح من شأنه أن يُرضي الخاصّة ويسخط الله تعالى والعامة؛ لذا نراه قصر المال على المالك الحقيقي وهو الله تعالى ليبين انه مأمور لا مفوض لعلم الناس بأنّه(عليه السلام) إنما يطبق ما شرّعه الله تعالى وما سنّه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في حقوق العباد، فلو كانت هذه الاموال له لساوى بينهم فكيف بها وهي أموال الله تعالى، وقد تصدرت (إنما) جملة القصر ـ هنا ـ لتمنحها قيمة بلاغية عالية، إذ استعملت فيما يعد معلوما لا يُجهل ولا يُنكر؛ لأنّه أمر من الأمور الشرعية التي تكفل القرآن الكريم ومن ثم الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) ببيانه. وألقت (إنّما) بظلالها التعريضية من خلال القصر إذ أشعرت بخطأ ما عمد إليه المخالفون لهذا المذهب في تقسيم الأموال، وهو مما اعتاد عليه بعضهم وينطوي على تحذيرهم أن يخالفوا أمر الله في حقوق الناس، ولعلّ استعمال (إنما) هنا جاء لأنّ الحديث كان مع أشخاص مقربين من الإمام(عليه السلام) يعتقدون بأنّ الزيادة لبعض الشخصيات السياسية والاجتماعية من شأنه أن يرسخ حكم الإمام؛ لذا أراد ((عليه السلام) أن يبين لهم خطأ معتقدهم هذا بلطف من دون زجر أو تعنيف مع شيء من التذكير والانكار لما يطلبونه من تصرف بعيد عنه خلق اهل البيت (عليهم السلام) ، وهذا السياق يختلف تماما لو كان القصر بـ(النفي) و(إلا). وهذا ما يتضح في الجملة القصرية الثانية في هذا النص حين وبخ (عليه السلام) من يضع المال في غير موضعه ويمنحه إلى غير أهله، إذ يقول: (**وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اللّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ**)، فإنَّ من عمل ذلك رجاء للتكريم عند الناس أو توقعا وطلبا للشكر والثناء فإنَّ جزاءه أن يحرمه الله تعالى من شكرهم؛ولأن في الحديث تنبيه وتحذير من أمر يقع كثيرا وغفل

عنه المتعاملون متناسين أنهم مسؤولون غدا جاء القصر بالأداة (إلا) مع النفي وهو سياق مناسب للمقام .[1]

ونجد القصر هنا جاء بـ(بالنفي) و(إلا)؛ لأنَّ الموضع يحتاج إلى الشدة لإيقاظ الغافل من سوء التدبير والتقدير كما يحتاج إلى الزجر والإنذار لكل من يفكر في مخالفة شرائع السماء.

ويمكن لنا أن نستشف ــ من خلال التأمل في البنية الإسنادية للجملتين القصريتين الأولى والثانية ـ أبعادا دلالية أُخر؛ فالقصر في الجملة الأولى **(فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللّـهِ!)** قد جاء باستعمال الجملة الاسمية مسبوقة بأداة القصر (إنما) في سياق استفهام انكاري أُريد به التوبيخ تشوبه شده لايقاظ الناسي والمتناسي، أما في الجملة الثانية فقد جاء القصر بالجملة الفعلية مع(النفي وإلا) **(وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اللّـهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ)**، ليدلّل بالأولى على أنَّ تلك الصفة ثابتة ومستمرة على مدى الدهور فالملك لله تعالى في كلِّ زمان ومكان فكان التعبير بالجملة الاسمية بطرفيها(المسند والمسند اليه) أوغل في التعبير واصدق، مثلما كان التعبير بالجملة الفعلية في الجملة القصرية الثانية اقدر وأدق في بيان تجدد هذا الفعل من البشر واستمرار بعضهم ــ ممن يسيء استعمال الحق ــ عليه. ونجده (عليه السلام) في موضع آخر يبين امرا من الامور التي تتعلق بادارة الدولة، وهو الحرب؛ إذ يستنكر الرأي الذي يقول بوجوب خروجه للحرب بنفسه مما يعني انه سيترك امور البلاد التي تحتاج الى ادارة من قبله ويذهب الى انه يمكن ان يقتصر على عدد من الشجعان الذين يختارهم لهذا الامر قال (عليه السلام) حين جمع الناس وحضّهم على الجهاد فسكتوا مليا: ((.. **أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ، مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ، وَذَوِي بَأْسِكُمْ ...، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا...، لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، الَّتِي**

---

١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ٨/١١٠، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،٨/١٦٢.١٦٣.

لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ))[1] إنَّ مهمة الخليفة النهوض بأعباء الدولة وإدارة شؤون المواطنين التي لا يمكن لغيره القيام بها، وهي الأمور المصيرية التي تقوم بها أركان الدولة، وهناك أمور ومصالح للدولة يمكن لغيره القيام بها كصد الهجمات البسيطة على الحكومة. وتشير سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى أنَّه كان يرسل أشخاصا يثق بشجاعتهم للقضاء على الفتن التي يمكن أن تحصل هنا أوهناك. أما هو فكان يتعامل بنفسه مع الحوادث الضخمة ذات الطابع المصيري التي لا يمكن لغيره مواجهتها، وهكذا فعل الإمام (عليه السلام) غير أنَّ الفرق بين قومه وقوم الرسول هو أنهم كانوا يأتمرون بأمره، ولا يخالفوه كما يحصل مع الإمام (عليه السلام)؛ لذا نرى انه (عليه السلام) حين طلب منهم الخروج لمواجهة إحدى حملات معاوية وجيش الشام على أطراف العراق قالوا له إن خرجت خرجنا معك، فردَّ عليهم بهذه الخطبة التي استفهم فيها ولكن على سبيل التوبيخ والإنكار من موقفهم، قال:**((أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟))**، وجاء اسم الإشارة هنا ليفيد التحقير كما في قوله تعالى: ﴿ (* + , ﴾[2] فإنَّ شأني أن أخرج في وقائع أخطر من هذه الواقعة فكيف تشترطون خروجي لتنهضوا إلى صدِّ الهجمات البسيطة؟

ونرى أنَّ هذه الخطبة لما فيها من مشاعر غضب واستنكار وبيان لأمور مهمة وردت في ثلاث جمل قصرية قد اختلفت الأدوات فيها؛ إذ استخدمت(إنّما) في جملتين و(إلا) و(النفي) في جملة ثالثة. وهذا نابع من اختلاف الموقف الشعوري الذي صدرت فيه كل جملة، فنجده (عليه السلام) يستعمل (إنما) في الجملة الأولى، وهي قوله: **((وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ، مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ، وَذَوِي بَأْسِكُمْ))**؛ لأنَّ الحديث عن موقف معروف من مواقف الإمام (عليه السلام) على أنَّه أعرف بقومه وأنَّه لا يساوم على حقوق الرعية، ومنها حقُّ حمايتها من الأخطار فقد عُرف (عليه السلام) بإخلاصه في العمل، وأنَّه يضع الرجل المناسب

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم:٧/٢٨٥.

٢) الأنبياء ٣٦.

في المكان المناسب، وهو من الأمور الجلية التي لا يمكن انكارها أو الجدال فيها، وقد ألقت الجملة الفعلية التي تلت الأداة ظلالا معنوية مطلوبة، فقد جاءت هنا لتنبئ عن حدث يتصف بالتجدد؛ لأنَّه يعبر عن موقف يمكن أن يتكرر دوما وهو الإغارة على الأراضي الإسلامية؛ لذا لابدَّ من وجود من يخرج ليدافع ويبعد الخطر.

أما قوله ((**وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا**)) الذي استعمل فيه الأداة نفسها فهو حديث متصل بما قبله، فالإمام (عليه السلام) ما زال مستمرا في حديثه عن الموضوع ذاته؛ إذ يبيّن سبب عدم خروجه لصدِّ الغارة، وهو يتصف بصفة انفرد بها من بين الآخرين، وقد شبّه نفسه تشبيها دقيقا يعبر عن موقعه في الدولة وأهميته في إدارة شؤون البلاد، وقد شبّه شخصه الكريم بقطب الرحى ليعبّر خير تعبير عن ضرورة وجوده في مركز الحكم ليدير أمور الدولة كافة. وهذا يشبه ضرورة وجود قطب الرحى ومحورها؛ لأنّه إن ترك مكانه اختلت حركة الرحى؛ لأنّها تتكون من حجرين بينهما قطب يدور حول محوره الحجر فلو حدث خلل في القطب فانكسر مثلا فسيخرج الحجر عن مساره ويقع جانبا، وهو أمر يعرفه الناس فليس هناك منزل في زمن الإمام يخلو من الرحى؛ لذا جاء القصر بالأداة(إنما) لأنَّ الحديث ـ هنا ـ عن أمر واضح لدى الجميع، أما مجيء الجملة الاسمية هنا فهو من متطلبات السياق الذي يختلف عن سياق الحديث السابق حين اسُتعمل فيه الفعل، فالموقف هنا هو حديث عن صفة ثابتة في الإمام ودائمة لا يمكن أن تتغير وهو من دلالات الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام إن لم تقف قرينة دون ذلك.

وانتقل الإمام (عليه السلام) في مقطع آخر من الخطبة إلى ذمِّ أهل الكوفة وتوبيخهم، قال: ((**لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ**)). وقد استعمل(عليه السلام) (النفي والاستثناء) هنا؛ لأنّه يحاول زجرهم وتنبيههم إلى خطر ما هم عليه من صفات قد تودي بهم إلى الهلاك. والقصر في الجملتين: (**وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ، مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ، وَذَوِي بَأْسِكُمْ**)، و(**وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي**) من قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا أفاد القلب في الأولى والتعيين في الثانية، اما في قوله

عليه السلام(**لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ**)، فهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا أفاد الإفراد. ولعل جميع ما مر من حديث للإمام (عليه السلام) مع قومه نابع مما حباه الله سبحانه من دراية بأمور غابت عنهم لكنها لم تغب عنه لأنه تعالى أطلعه على بعض المغيبات التي يرى أن في معرفتها مصلحة للعباد، فيما بقي أمر الغيب مقصور عليه سبحانه،وقد بين ذلك الإمام بوضوح قال:((.. **وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾**[1]، **فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ، عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي**))[2]. فقد جاء هذا الكلام من الإمام (عليه السلام) عندما ذكر بعضا من إخبار الملاحم وما يجري على الناس من وقائع كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اخبره بها قبل وفاته، وقد غاب ذلك عن بعض أصحابه فاعتقدوا بأنه (عليه السلام) يعلم الغيب فبين (عليه السلام) خطأ ذلك الاعتقاد بقوله((**وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾**[3]، إذ قصر ما يعرفه من الوقائع والأحداث المستقبلية على ما تلقاه من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي وصفه بقوله(ذو علم) وأكد أنَّه لا يعلم بها من تلقاء نفسه، فعلم الغيب يختلف عن العلم بالمغيبات، وقد بيّن ذلك في هذه الجملة القصرية بأداتها (إنما) التي حصرت علم الغيب به جل وعلا، ونجد فيها أيضا تعريضاً وإلفاتاً إلى أنَّه عَلِمَ بالمغيبات من معلِّم، ممّا يدل على وجود نوعين من العلوم:

---

١) لقمان ٣٤.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٨/٢١٥.

٣) لقمان ٣٤.

الأول ما تفرّد الله سبحانه بعلمه، ولم يطلّع عليه أحد سواه، وهي أمور أشار إليها(عليه السلام) حين ذكر الآية القرآنية الكريمة﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَۖ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1]، فهذه أمور خمسة علمها عند الباري تعالى وحده، وهو غيب يعلمه تعالى بذاته، أما غيره فيعلم ببعض المغيبات((بعلم مستفاد منه سبحانه بوحي أو الهام أو نكت في القلوب ونقر في الأسماع أو غير ذلك من جهات العلم))[2] ومنه ما أخبر به الإمام (عليه السلام) نقلا عن ذي علم بدليل قوله تعالى﴿ ©كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن ´ µ ¶ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[3] ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[4]، ومن ذلك نعلم((إنَّ علم الغيب علم ذاتي مختص بالله سبحانه وتعالى، لكن العلم الاكتسابي والإعطائي لا يسمى بعلم الغيب، بل هو ذلك العلم الذي علّمه الله سبحانه نبيه وعلّمه النبي من يراه مستعدا لذلك العلم))[5].

ومن الجدير بالذكر أننّا نجد في هذا النص تناوبا بين (إنما) و(النفي والاستثناء) في أداء القصر ولا شك في أنَّ لكلِّ أداة قصرية سببا يتطلبه السياق ويقتضيه المقام، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال بيان واقع الحال الذي وردت فيه كلُّ أداة ونبدأ بالجملة الأولى: التي قال فيها (عليه السلام)(**وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ**). ومن خلال اطلاعنا على الموقف الذي قيلت فيه هذه العبارة نجد الأداة(إنما) قد وضعت في موقعها المناسب، فالعبارة وإن جاءت خبرية ولكنها في الواقع كانت

---

١) لقمان/٣٤.

٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:٨/١٨٩.

٣) آل عمران/١٧٩.

٤) الجن/٢٦.٢٧.

٥) نفحات الولاية

استفهامية؛ لأنَّ المتحدث من أصحاب الإمام (عليه السلام) وهو مسلم، فلاشكَّ في أنَّه يعلم بأنَّ الغيب مما اختص به الله تعالى، لذلك أطلق عبارته تلك طالبا من الإمام أن يقدم توضيحا للموجودين حول مصدر علمه بتلك الوقائع والأحداث، و(إنّما) تستعمل في الأمر الجلي الواضح الذي لا ينكر، وأنَّ فيها لينا يناسب المقام كون الإمام (عليه السلام) يتحدث مع أصحاب له، ومن ثمّ فهو لا يحتاج إلى الشدّة والصرامة التي يمتلكها(النفي والاستثناء) الذي نجده في العبارة الثالثة التي سنوضحها فيما بعد ، أما سبب استعمال (إنما) في العبارة الثانية في قوله (عليه السلام):(**وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾**[1])، فإنَّ مردّه إلى المقام الذي وردت فيه، فقد كان(عليه السلام) يتحدث عن حقيقة من الحقائق المعروفة لدى المسلمين، فكأنَّه (عليه السلام) يذكر الناس بها ولاشك في أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) من دأبهم اللطف واللين في التعامل مع الناس لذلك جاءت (إنما)؛ لأنها((لا تكون إلا في الحقائق والأفكار والمشاعر والمواقف، تبعث فيها حياة جديدة وتسوقها إلى النفس المتلقية سوقا هادئا وتطبعها بتؤدة وتريث سواء كان ذلك حقا أو ختلا وموارية وإعراضا وعدم مبالاة ....))[2].

والثالثة: قوله(عليه السلام): (**فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ**)، فقد ورد القصر (هنا بالنفي والاستثناء)؛ لأنَّ معرفة الغيب والاطلاع على المجهول من الأمور التي شغلت الإنسان على مدى العصور، فهو يحاول استكناه المجهول حتى أنَّ بعضهم يدعي العلم بالغيب بطريق أو آخر، وقد تنوعت الأساليب التي تثبت تفردّه تعالى بعلم الغيب. وهذا الأسلوب أحد تلك الأساليب الذي بيَّنَ أنَّ هناك خمسة أنواع من الغيوب معلومة لدى الباري وحده، وقد بدأ بـ(إن) المؤكدة تلاها القصر بالنفي والاستثناء، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا،

---

١) لقمان/٣٤.

٢) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: الدكتور صباح عبيد دراز: ٢١٨.

فالعلم بالغيب بما هو غيب مقصور عليه تعالى لا يشاركه فيه أحد، وهو قصر على سبيل الحقيقة بلا مبالغة، والمقصور عليه في أسلوب النفي والاستثناء قبل (إلا) أما المقصور عليه فيقع بعد (إلا)[1].

ونجد قوله(عليه السلام):((**وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ**)) من قصر الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا، على سبيل التعيين، وكذا قوله (**وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ**) أما قوله(عليه السلام): ((**فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ**))، فهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا أفاد قلب الحكم لا تعيينه بخلاف الحالتين السابقتين.

الثالث : رد الشيء إلى حقيقته : ويرد في المواضع التي تتعدد فيها الصفات فرجع بالقصر الى صفة واحدة تمثل الحقيقة كقوله عليه السلام وهو يحذر الناس من الدنيا ويرجع الانسان الى صفة تمثل حقيقته عند اله سبحانه وتعالى قال (عليه السلام): ((**أُوصِيكُمْ بِالزَّفْضِ، لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ، سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ**))[2].إن نظرة الإسلام إلى الكون والحياة تقوم على ذم العلاقة القلبية التي تجعل من الإنسان أسيرا بيد الدنيا ومن في يده شيء منها، وهي من الأمراض التي يكافحها الإسلام بقوة؛ لأنها تُخرج الإنسان من وظيفته الحقيقية. وهكذا هو فكر الإمام علي (عليه السلام) الذي عبر عنه بوضوح في نهج البلاغة؛ إذ يرى أنَّ علاقة الإنسان بالدنيا علاقة الزارع بزرعه وعليه أن يدرك أن ما يزرعه في هذه الحياة سيحصده في الغد إن خيرا فخير وان شرا فشر.

قال (عليه السلام) بعد أن حذر من الدنيا ودعا إلى تركها((، **فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ، سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ**)) وهنا قصر(عليه السلام) حال الإنسان على حال المسافر إذ((جعل أهل الدنيا والكائنين فيها بمنزلة المسافرين،وجعلها بمنزلة سبيل يسلكه المسافر، وجعل سرعة سيرهم

---

١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ١٣١/٣ وما بعدها.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٨٠/٧.

وانتقالهم فيها وقربهم من الموت الذي هو آخر منازلها بمنزلة قطع المسافر منازله، وبلوغ قاصد علم ومنار مقصده، يعني أنهم في حال كونهم غير قاطعين له كأنهم قاطعون له، وفي حال كونهم غير بالغين له كأنهم بالغون له، لأنه لما قرب زمان إحدى الحالتين من زمان الحالة الأخرى شبهوا وهم في الحال الأولى أنفسهم وهم على الحالة الثانية))[1] ونلحظ هنا أنَّ اسلوب القصر قد تضافر مع أساليب إنشائية متعددة لأداء المعنى المطلوب، توزعت بين الأمر والنهي والاستفهام وهي من أساليب الإنشاء الطلبي؛ لأنَّ((الطلب هو الوظيفة الابلاغية الأولى التي تؤديها اللغة، إذ انه يعبر عن الرغبة في التعاون المشترك بين الناس))[2]، وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا إدعائيا، ويدخل في قصر التعيين؛ لأنَّ الإنسان منتقل من هذه الدنيا إلى الآخرة فهو مسافر إليها، وإدعائيا؛ لأن المُتَحَدْث إليه واصل إلى هدفه قوة لا فعلا فالإمام يوجّه خطابه إلى الأحياء لا الأموات، والأحياء في طريقهم إلى الموت بلا شك، وهو من قصر التعيين؛ لأنّه عيّن حالهم من بين حالات كثيرة يمكن أن يوصفوا بها.ونجده (عليه السلام)بعد ان بين صفتهم وانهم مسافرون في الواقع بين لهم صفة الطريق الذي يسيرون فيهوالاثر الذي يقتفونه، قال(عليه السلام):((..... **فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ...، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَئُونَةَ دُنْيَاكُمْ وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى....**))[3]. يتحدث الامام (عليه السلام) في هذه الخطبة عمّا جاء في القرآن الكريم الذي يمثل أكبر معجزة للرسول (صلى الله عليه وآله) ويدعو إلى تعظيم الله سبحانه وتعالى بما يستحقه؛ لأنَّه أكمل الحجة على البشر وأكمل لهم دينهم بما أرسله من الرسل وآخرهم محمد(صلى الله عليه وآله) الذي أرسل معه القرآن هاديا ومعلما فكان من حقه عليهم التعظيم؛ لأنّه تعالى كما أوضح الإمام عليه السلام((لم يخف عنكم شيئا من دينه بل كشفه لنا وبينه بأجمعه بقدر الإمكان، ولم يترك شيئا من

---

١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:١٤٩/٧.

٢) النظرية اللغوية العربية الحديثة: الدكتور جعفر دك الباب:١٢٣.

٣) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:١١٣/١٠ وما بعدها.

مراضيه ومكارهه إلا نصب عليه علما ظاهرا أو آية واضحة من كتابه يشتمل على أمر بما يرضيه أو زجر عما يكرهه))[1].

وفي هذه العبارة قصر الإمام الأمور التي يبدو أنّها أخفيت على الناس من قبله تعالى على تلك التي جعل لها في القرآن آية توضحها للناس، ومن ثمَّ فإنّه لم يخفِ شيئا في الواقع لكنه لم يكشف عنها كما كشف عن غيرها لحكمة اقتضتها مشيئته، لعلَّ منها سدّ أبواب البدع في الدين، وقد قصر الطريق الذي ينبغي ان سير فيه العباد على الطريق البين، الواضح قال: **(وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ)** وهو طريق جعل له الباري سبحانه أحكاما بيّنة يستند إلى أدلة واضحة قد تداولها الأولون قبلهم، وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا أفاد التعيين؛إذ عين الصفة التي يتصف بها طريق العبد المؤمن الذي لا شبهة فيه ولا خلاف عليه، وغالبا ما تشتبه على بعض الناس الوسائل والطرق التي يسلكونها للوصول إلى الغاية، وهذا ما بينه (عليه السلام) في خطبة أخرى حين قصر رد سبب تسمية الشبهة شبهة؛ لأنها تشبه الحق، قال:((**وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ**))[2]. تتكون هذه الخطبة من فصلين يبين الأول سبب تسمية الشبهة، أما الثاني ففيه بيان لحال الناس إزاء الموت[3].

---

١) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني:٣٧٣.

٢) شرح نهج البلاغة: ابنأبيالحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:٢٩٨/٢، وينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني:٩٨/٢ وما بعدها.

٣) أشار اغلب شرّاح النهج إلى أن هذه الخطبة تتكون من فصلين لا علاقة لأحدهما بالآخر،وإنما جمع احدهما إلى الآخر من قبل الرضي؛ لأنه كان يلتقط كلام الإمام (عليه السلام) التقاطا؛ ليجمع فصيح كلامه، وقد أشار الرضي إلى ذلك، ينظر: شرح نهج البلاغة: ابنأبيالحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:53/1، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،

قصر الإمام (عليه السلام) تسمية الشبهة بهذا الاسم على أنّها تشبّه الحق، والشبهة تعني الالتباس وهي مأخوذة من التشابه إذ يشابه الشيء شيئا آخر، بحيث يعجز بعضهم عن التمييز بينهما؛ فـ((المُشْتَبِهاتُ من الأُمور المُشْكِلاتُ وتقول شَبَّهْتَ عليَّ يا فلانُ إذا خَلَّطَ عليك واشْتَبَه الأَمْرُ إذا اخْتَلَطَ واشْتَبَه عليَّ الشيءُ وتقول أَشْبَهَ فلانٌ أَباه وأَنت مثله في الشِّبْهِ والشَّبَهِ وتقول إني لفي شُبْهةٍ منه))[1]، قال تعالى﴿ (* + , - . / 0 1 ﴾[2]، وقال الرسول(صلى الله عليه وآله): ((حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم))[3]، والشبهة من الأمور التي ينخدع بها البسطاء من الناس ممن لا قدرة لهم على التمحيص والتمييز، فتلتبس عليهم الأمور، لاسيّما إذا اقترب وجه الشبه بينها وبين الحق؛ لأنَّ الأمر الواحد في الواقع يكون دائما على وجه من وجوه ثلاثة: الأول: حق ظاهر جلي لا لبس فيه كأن يقال مثلا إن السماء زرقاء، والثاني: باطل ظاهر جلي كأن يقال الشر أحسن من الخير، أما الثالث: فهو أن يكون الأمر ليس من قبيل الأول ولا من قبيل الثاني، إذ يتلبس الباطل بثوب الحق وهذا كثير في عصرنا الحالي أما مصاديقه في عصر الإمام، فمنها قول الخوارج (لا حكم إلا لله) وهو كلامُ حقٍّ أُريد به باطل، وقد أطلقه الخوارج حين انطلت عليهم خدعة معاوية وأعوانه في الواقعة التي رفعت فيها المصاحف على الرماح، وكذلك حادثة المطالبة بدم عثمان وغيرها، لذلك قال الإمام عليه السلام((**وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ**))، ثمَّ بيّن السبيل إلى النجاة من الوقوع في الشبهات بقوله ((**فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ،**

حبيب الله الخوئي:٢/٩٨، ونفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ٢/٢٥٦ وما بعدها.

١) لسان العرب: مادة(شبه).

٢) البقرة/٧٠.

٣) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن(الحر العاملي)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٨/ باب ١٢، من أبواب صفات القاضي حديث:٩، والكافي: محمد بن يعقوب الكليني:٢/٢٠٢.

وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّـهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى))، ولعلَّ المراد((باليقين الاستفادة من المقدمات القطعية والأمور اليقينية التي من شأنها إنارة الطريق والقضاء على الشبهة))[1] وفي ذلك إشارة إلى أنَّ أولياء الله((الذين لا يكترثون للأهواء ويحكّمون العقل إنما يسعهم في ظل هذا العقل أن يجتازوا الشبهات ويهتدوا إلى السبيل، ولو كان للأهواء من سبيل إلى العقل لما وسع هذا الفرد تمييز الحق من الباطل))[2]، أما الآخرون وهم أعداء الله ورسوله فان دليلهم الضلال وهوى النفس.

وقد جاء أسلوب القصر بالأداة (إنما) مع الفعل الذي لم يسم فاعله والذي يرد في سياقات مختلفة منها السياقات المفيدة للعموم؛ فالحديث هنا عن عموم الشبهة لا عن شبهة بعينها، وهو من الاستعمالات البلاغية التي يستدعيها النص ويقتضيها المقام، أما استعمال(إنما) ـ هنا ـ فهو استعمال دقيق؛ لأنَّ الحديث يدور عن أمر من الأمور الواضحة التي لا تقبل الرد، فلا يمكن لأحدٍ أن ينكر أنَّ الناس منقسمون على قسمين: أولياء لله، وأعداء له جلَّ وعلا، وليس من شكٍّ في أنَّ أولياء الله إنّما يتبعون يقينهم بالله تعالى ورسوله وأنَّ دليلهم هو الوحي والنبوة، بينما يتبع أعداؤه الضلال والهوى، ثمّ أنَّ الجميع يعرف من خلال ما خبره من أمور الحياة أنَّ الأمور تقسم على ثلاث شعب: حق ظاهر، وباطل ظاهر، ومقدار من الحق ممزوج بمقدار من الباطل وتلك التي تشتبه على بعض الناس لذا سميت شبهة.

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا، على سبيل التعيين، فالشبهة موصوف وشبهة صفة، وقد قصرت قصرا حقيقيا؛ لأنها لا يمكن أن توصف وصفا يعبر عن حقيقتها اقرب من وصفها بالتشابه أوالاشتباه بين الحق والباطل في ظاهرها بخلاف ما هو عليه في الباطن، وقد أفاد القصر هنا التعيين؛ لأنّه بيّن سبب التسمية بهذا الاسم من بين الأوصاف أو الأسماء التي يمكن أن تطلق عليها وتعبّر عن مفهومها خير تعبير.

---

١) نفحات الولاية: ناصر مكارم الشرازي: ٢٥٨/٢.

٢) المصدر نفسه:٢٥٨/٢.

الفصل الثالث

٣

القصر بتقديم ما حقه التأخير.

تحدث العلماء عن إفادة التقديم والتأخير للقصر، وإنّه من الأساليب المشهورة، وذهبوا إلى أنّه يفيد القصر لتضمنه معنى(ما، وإلا). وكان من أوائل من ذكروا ذلك الخليل بن احمد الفراهيدي في ضمن دراسته للتراكيب في اسلوب التقديم والتأخير، وكذا سيبويه في الكتاب[١] الذي أرجعه إلى العناية والاهتمام، جاء بعده ابن جني فعقد له فصلا في كتابه الخصائص[٢] وأشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهميته في اللغة، ورفض تفسير بعض النحاة والبلاغيين للتقديم بالعناية والاهتمام فقط، ووجه اللوم لسيبويه لقوله، وهو يتحدث عن الفاعل والمفعول،((وكأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم))[٣] وأشار إلى أهمية البحث عن المعاني الإضافية للتركيب في كل قول، إذ قال:((وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أن يقال: إنّه قدم للعناية، ولأنّ ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت هذه العناية، ولم كانت أهم؟))[٤]، وهو يرى أنّ نظرتهم تلك أدت إلى تصغير أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوه، قال: ((حتى أنَّك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف، ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه))[٥].

ويكون المقدم في هذا الباب هو المقصور عليه باتفاق علماء البلاغة، ففي جملة: زيدا أكرمت، يكون المعنى: ما أكرمت إلا زيدا.

ويقسم التقديم على قسمين:

الاول: التقديم بين ركني الجملة ويتحقق:

---

١) ينظر:الكتاب: تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون: ٤٢/١.

٢) ينظر: الخصائص:ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار:١٥٨/٢ وما بعدها.

٣) الكتاب: تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون:٤٢/١.

٤) دلائل الإعجاز: تحقيق وتقديم: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية:٧٥.

٥) المصدر نفسه: ٧٦.

١ـ بتقديم المسند على المسند اليه في الجملة الاسمية، أو تقديم المسند اليه على المسند في سياق نفي في حال كون الجملة فعلية.

الثاني: التقديم في متعلقات الجملة: ويتحقق بتقديم المتعلقات على العامل، أو تقديم بعضها على بعض[١].

ومن صور التقديم التي أفادت القصر في نهج البلاغة:

١. تقديم المسند على المسند اليه في الجملة الاسمية.

ومنه قوله تعالى﴿ > = < ? > ﴾[٢]، وقوله تعالى﴿ ê ë **ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾[٣].

ومما ورد في نهج البلاغة في هذا الباب: قوله (عليه السلام):((**مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ، مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ**))[٤]. تقدّم الخبر على المبتدأ في قوله عليه السلام(مسكين ابن آدم)؛ لأنَّ الحديث هنا في مقام بيان مسكنته التي ظهرت في مظاهر عدة، منها أنَّه(**مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ**)، وحصر تلك الصفات بالإنسان من دون سائر المخلوقات، فهو وحده من اجتمعت فيه تلك الصفات، وقد ورد التقديم والتأخير في إطار الجملة الاسمية؛ على أنَّ الصفة ثابتة فيه ملازمة له على طول الزمان لا يمكن أن تتغير، والقصر قصر إضافي وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا، أفاد الإفراد؛ لأنَّ الإنسان قد انفرد باجتماع تلك الصفات.و كذا في قوله (عليه السلام): ((..... ، **وَفِي تَقَلُّبِ الْأَحْوالِ عِلْمُ جَواهِرِ الرِّجالِ، وَالْأَيَّامُ تُوضِحُ السَّرآئِرَ الْكامِنَةَ**))[٥]. تقدم الخبر(في تقلب الأحوال) على المبتدأ (علم جواهر الرجال)؛ لحصر الأسباب التي تساعد على

---

١) ينظر: القصر وأسرارها مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم: نجاح احمد عبد الكريم الظهار، رسالة ماجستير، اشراف الدكتور علي محمد حسن العماري، جامعة ام القرى،١٩٨٣.

٢) الكوثر ٦.

٣) المائدة ١٢٠.

٤) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم:٦٢/٢٠.

٥) المصدر نفسه : ٣٨/١٩.

معرفة جوهر الرجل بتقلبات الدهر من صحة وغنى ومرض وفقر وجاه وما أشبه، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا يفيد التعيين وقد ورد في اطار الجملة الاسمية؛ على أنّها من الأمور الثابتة التي لا تتغير فهي صفة ملازمة للبشر، فليس من شك في أنَّ الظروف وما فيها من سعادة أو شقاء لها أثر رئيس في تشكيل المنظومة الأخلاقية له على مدى الدهور. وقال (عليه السلام):((**لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ، يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ**))[1]. نجد أن الإمام (عليه السلام) قدّم الخبر(شبه الجملة) (للظالم) على المبتدأ المعرّف بالإضافة(ثلاث علامات)؛ لإفادة القصر على أنّ صفة الظلم مقصورة على من اجتمعت فيه علامات ثلاث، أو إحدى تلك العلامات كما ذهب آخرون، وقد جاء بالمبتدأ نكرة تعرفت بإضافتها إلى ما بعدها؛ لأنَّ التنكير يفيد التفخيم والتهويل والمبالغة، فصفة الظلم حين تطلق على أحد تحتاج إلى ما يؤكدها لما فيها من الكراهة في نفس الموصوف، وكذا نفوس السامعين وتحتاج إلى ما يشبه التنبيه وطلب الاهتمام من المتلقي لهذا الأمر المهم.

ونرى أنّه قصر افاد التعيين؛ إذ عين صفة من اجتمعت فيه تلك العلامات.

وقال في سياق بين فيه بعض مكارم الاخلاق: ((**بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ، وَبِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِئُ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ**))[2]. نجد في هذه العبارات الموجزة البليغة سبع صفات أخلاقية توجب سبعا لحاملها، وبدأ (عليه السلام) بالصمت لأنَّ اللسان آفة الإنسان التي كثيرا ما ترديه في مواطن الهلكة، جاء عن الإمام الرضا((إنَّ الصمت باب من أبواب الحكمة، وإنَّ الصمت يكسب المحبة، إنّه دليل على كلّ خير))[3]، ثمَّ ذكر (عليه السلام): (النَّصَفَةِ، وَالْإِفْضَالِ، وَالتَّوَاضُعِ، وَاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ، وَحسن السِّيرَةِ، وَالْحِلْمِ)، ولاشك في أنَّ إنصاف الآخر يؤدي إلى انعطاف القلوب إلى المنصف، والإفضال

---

١) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم: ٢٦٦/١٩.

٢) المصدر نفسه: ٤٨/١٩.

٣) فروع الكافي: محمد بن يعقوب الكليني:١١٣/٢.

والجود يكسبانه رضا الآخرين وشكرهم له، لأنَّ الإفضال إنعام والإنعام يُشكر، والتواضع يكسب المتواضع رفعة؛ لأنَّ من يتواضع للعباد من الناس يرفع الله درجاته في الدنيا والآخرة.

ونجد أنَّه (عليه السلام) قدم الصمت على الصفات الأخرى؛ لما يمنحه من خير لصاحبه، قال الشيخ عباس القميّ((وقد رأينا مهابة العظماء عند ما يسكتون وينصتون كيف ينصت المجلس كله وكأن على رؤوس الجميع الطير، ينصت المجلس كله دون أن يكون للعظيم سطوة أو سيف أو سوط، وقد عهدنا ذلك عند علمائنا ومراجعنا في النجف الأشرف وعشنا في مجالسهم تلك الحالة، فإنّك تجلس بين أيديهم والمجلس يغصّ بالزوار ولا تحس بكلمة تخرج منهم يسمعها الحاضرون، بل تجد الجميع في سكون هيبة للمرجعية و احتراما لها))[1].

ونجد تقديما آخر في العبارة، لكنّه تقديم لسبب بلاغي وهو تقديم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ، قال عليه السلام (بكثرة الصمت) ، قُدم الجار والمجرور وهو في موضع خبر للمبتدأ (تكون الْهَيْبَةُ)، وكذلك تقديم الجار على متعلّقة في سائر الجمل قد افاد قصر بعض الصفات على أسبابها، فالهيبة مقصورة على من ترك كثرة الكلام؛ لأنَّ كثيره يخل بشخصية المتكلم، والتواصل بين الناس مقصور في الغالب على المنصفين من الاصحاب، وكذا الصفات الأُخر في هذا النص قصرت على أسبابها بالتقديم والتأخير. وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا يتجاوز التأكيد الى المبالغة، وتحقيق المعنى ببلاغة وبيان. وقد أفاد التعيين، إذ عين مجموعة من الصفات التي ترتفع بالإنسان وتزينه. ومن المواضع التي افاد التقديم والتأخير القصر فيها قوله (عليه السلام): ((**لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ، فَاللَّهَ اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ**))[2].

---

١) شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي:٥/٣٨٠.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٦/٣٥٠.

في هذا النص من الخطبة يذكر الإمام عليه السلام خمس صفات لله جلَّ وعلا، مَن تأمل فيها وأدرك معانيها منحته إيمانا وتصديقا بربوبية الخالق العظيم، والصفات الخمس هي:

الأولى: انَّه عالم بسريرة كلَّ عبدٍ، أي ما يكتمه من سرّ[1]، والثانية أنَّ له خبرا بما تكنه الضمائر فهو خبير، والثالثة إحاطته بكلِّ الأمور الكلية والجزئية، والرابعة أنّه الغالب على كلِّ شيء، والخامسة أنَّ لديه القوة والقدرة على كلِّ شيء ونجد في قوله (عليه السلام)(لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ) تقديما وتأخيرا أفاد القصر؛ إذ تقدم الخبر(له) على المبتدأ(الإحاطة بكلِّ شيء)؛ للدلالة على أنَّ العلم بكلِّ الأمور مقصور عليه جلَّ وعلا، وذلك من الثوابت التي لا يختلف فيها المسلمون، وقد ورد في إطار الجملة الاسمية ليدلّل على أنَّ هذه الصفة، أي أنّه عليم بعباده خبير بأمورهم ثابتة لازمة دائمة له تعالى لا يطالها التغيير.

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا أفاد الإفراد؛ فهو تعالى وحده قد انفرد بصفة العلم بكلِّ الشؤون الدنيوية والأخروية[2].

أما قوله عليه السلام: (والغلبة لكلِّ شيء، والقوة على كلِّ شيء)، فهناك من بيّن الفرق بين الغلبة والقوة بقوله ((والفرق بين القوة والغلبة أنَّ القوة هي مصدر الخلق والإيجاد، أما الغلبة فهي السيطرة على الشيء بعد وجوده))[3]. وقال (عليه السلام) في موضع آخر:((**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي..**))[4]. المقصد من هذه العبارات واضح، قد لا يحتاج إلى الإطناب في بيانه، فثمّة نِعَم كثيرة أفاضها الباري على عباده بمنه وكرمه، وهي نِعَم توجب عليه الحمد والشكر في السراء والضراء، وما عليه إلا أن يقول:(**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي**)؛ لأنَّه تعالى يأخذ لمصلحة العبد كما يعطي لمصلحته

---

١) لسان العرب: مادة (سرر).

٢) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة:٣/٣١٢، وتوضيح نهج البلاغة:٢/٥، وشرح نهج البلاغة : السيد عباس القمي:٢/٩ـ١١، وفي ظلال نهج البلاغة:١/٤٢٣.

٣) في ظلال نهج البلاغة:١/٤٢٣.

٤) شرح نهج البلاغة: ابن‌أبي‌الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٩/٢٢٢.

أيضا، فله الحمد حمد الشاكرين على كرمه، وله الحمد حين (يعافي ويبتلي)، فإنّه يعافي العبد والعبد إمّا شاكراً أو كفورا، ويبتلي إما ليغفر ذنبا أو ليرفع درجة، وتلك نِعَم لايؤدي العبد حقّها من الحمد والشكر مهما تعب[١].

ونجد في هذا العبارة تقديما وتأخيرا أفادا القصر؛ إذ قُدِّمَ الجار والمجرور في (لَكَ) على (الحمدُ) ؛ ((لأَنَّ التركيزَ منصبٌ على مرجعيّة الحمد وجهة سوقها، وهو مسعى توحيدي، أي لك الحمدُ لا لغيرك بخلاف لو قال (الحمدُ لك)، فإنَّ التركيزَ يكون مُنصَبَّاً على الفعل، وهو مسعى تشريعي أي الحمدَ لَك لا الجحد))[٢] فالموقف هنا هو موقف تذكير للعبد بالإفاضات الإلهية والنعم التي لاتحصى التي يتنعم بها الإنسان، وعليه الانتباه إلى مركز العطاء وسببه((فجهة الخطاب مرتكزةٌ أساساً على مصدر العطاء؛ لذلك قُدِّمَ لغرض الاهتمام أولاً والاختصاص ثانياً))[٣].

٢. القصر بتقديم ما حقه التأخير في الجملة الفعلية:

أ . تقديم الفاعل على الفعل.

وله دلالات كثيرة منها القصر، وقد تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني، فذكر أنّ جملة: زيد قد فعل، أو أنا فعلت، أو أنت فعلت، تدل على معنيين:

الأول: واضح جلي وهو أنّك تريد أن تقصر الفعل على فاعل واحد دون آخر، أي أنّك ـ كما يقول ــ قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر[٤].

والثاني: أنك تريد تقرير المعنى وتأكيده لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولا في نفسه، لإبعاد الشبهة، وتدفع الظن بأنّك تريد التزيد وجعل منه قولك: هو يعطي الجزيل، وهو يحب الثناء، فإنّك بهذا تريد أن تؤكد للسامع أنَّ إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه[١].

---

١) ينظر: توضيح نهج البلاغة:٢/٤٢٢.

٢) الدراسة الفنية للخطاب في نهج البلاغة:٤٤.

٣) المصدر نفسه:٤٥.

٤) ينظر: دلائل الإعجاز: حققه وقدم له: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية: ١٢٨ـ١٢٩، وأساليب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية:٦٠.

ب . تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بعد حرف النفي.

وفي هذا تفصيل ذكره القزويني في الإيضاح قال: ((فمدار الأمر على تقديم حرف النفي على المسند إليه أو عدم تقدمه فإذا تقدم النفي أفاد تقديم المسند إليه التخصيص وإلا جاز أن يكون للتخصيص أو للتقوي والتأكيد))[٢] وقد سبقه الجرجاني إلى ذلك وبيّن دلالاته، إذ قال:((إذا قلت: ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: ما أنا فعلت، كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنّه مفعول .... ثم يقول: وإذا قلت: ما أنا ضربت زيدا، لم تقله إلا وزيد مضروب، وأن القصد، أن تنفي أن تكون الضارب من أجل ذلك صحَّ في الوجه الأول أن يكون المنفي عاما، كقولك: ما قلت شعرا قطُّ، وما رأيت أحدا من الناس، ولم يصح في الوجه الثاني، وكان خلفا[٣] أن تقول: ما أنا قلت شعرا قطُّ، وما أنا رأيت أحدا من الناس، وذلك أن يقتضي المحال وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كلّ شعر في الدنيا، ورأى كل الناس فتنفي أن تكونه))[٤].

وذهب احد الباحثين إلى ان كلام الجرجاني هذا يقتضي معنيين عبر عن أحدهما بأنه مقبول والثاني رديء متروك [٥]، ثم فصل القول في هذين المعنيين فذهب إلى ان:

((الأول: في قولك: ما قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس، صحيح مقبول، أما إذا قلت: ما أنا قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس، كان خلفا من القول، لما فيه من تناقض واضح؛ وهو أنَّ هذا القول قد قيل فعلا في الجملة الأولى، فلا يسوغ لك أن تقول في الثانية: وما قاله أحد من الناس.

---

١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٢٩، وأساليب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية:٦١.

٢) الإيضاح في علوم البلاغة:٢/٥٥.

٣) الخلف: الرديء من القول: لسان العرب(خلف).

٤) دلائل الإعجاز:١٢٥، وينظر: أساليب القصر في أحاديث الصحيحين:٦٢.

٥) ينظر أساليب القصر في أحاديث الصحيحين:٦٢.

الثاني: يعد صحيحا قولك: ما ضربت إلا زيدا، وليس صحيحا أن تقول: ما أنا ضربت إلا زيدا؛ لأنَّ نقض النفي بـ(إلا) يقتضي أن تكون ضربت زيدا، فإذا قدمت ضمير المتكلم بعد حرف النفي، تكون قد نفيت ضربك إياه، ولا شك في أنّ فيه تناقضا بينا))[1].

ج . تقديم معمولات الفعل عليه.

تحدث السيوطي في الإتقان عن تقديم المعمولات بقوله((كاد أهل البيان يطبقون على أنَّ تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء أكان مفعولا، أم ظرفا، أو جارا، أو مجرورا))[2].

ومن صور التقديم والتأخير التي وردت في نهج البلاغة وافادت القصر: قوله(عليه السلام):((...**إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً، وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ**))[3]. ويلجأ الإمام إلى الله تعالى ليبثَّ إليه شكواه من أناس عاشرهم وهم جهال ضالون مضلون تنفيرا منهم وتحقيرا لهم؛ إذ يقول (عليه السلام): (**إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا**)، فهو (عليه السلام) بهذه العبارات((بين وضعهم وكيف عاشوا، انهم عاشوا جهالا لم يتذوقوا العلم، ولم يعرفوه وكان بإمكانهم إدراكه والحصول عليه، هذا في حياتهم، وأما موتهم فقد ماتوا ضالين منحرفين فاسدين ومن كانت هذه خاتمة حياته كانت خاتمة سيئة قبيحة))[4]، وقد عبّر (عليه السلام) عن الجماعة بقوله (معشر) لمعاشرة بعضهم بعضا وقوله(يعيشون جهالا)، أي أنّهم يجهلون بالأحكام الشرعية التي تؤهلهم للقضاء بين الناس،(ويموتون ضلالا)، أي أنّهم يستمرون في حياة الضلال التي عاشوا عليها إلى حين الممات.

---

١) أساليب القصر في أحاديث الصحيحين ٦٣، وينظر: دلائل الإعجاز: ١٢٥.١٢٦.

٢) الإتقان في علوم القرآن: ١٥٦/٣.

٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم:٣٣/٦.

٤) شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي:١٧٠/١.

ويقول (عليه السلام) **(إِلَى اللَّهِ أَشْكُو)** بعد أن يأس من إصلاح أمور العباد الضالين المضلين؛ لذلك ((شكا إلى الله تعالى من أفراد الأمة وزعمائهم حيث أنهم سلكوا مسلك الشيطان وعدلوا عن الحق وطريقه ولازم ذلك ثبوت وصفين لهم وصف في الدنيا ووصف في الآخرة))[1].

وقد تقدمت شبه الجملة على الفعل لقصر الشكوى على الله تعالى لأنّه جدير برفع الشكاية إليه من دون الخلق، على أن الخالق هو القادر على رفع الحيف والظلم عمن خلق من العباد، ولاشك في أنَّ العباد عاجزون عن نصر بعضهم بعضا إلا بمشيئة الله تعالى، وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا تعيينيا إذ عين الجهة التي يتوجه إليها العبد بالشكاية. ومنه قوله عليه السلام في موضع آخر ((**بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ**))[2] إذ تقدم الضمير في قوله (عليه السلام) (بنا اهتديتم في الظلماء) لقصر سبب هداية الناس على آل الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، والخطاب يمكن ان يقصد به الناس في زمن الامام (عليه السلام) كما يصح ان يوجه الى من جاء بعدهم ((والمراد أنّا سبب هدايتكم بأنوار الدين وما أنزل اللّه من الكتاب والحكمة هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وتلك الهداية هي الدعوة إلى اللّه وتعليم الخلق كيفيّة السلوك إلى حضرة قدسه))[3]. وقصد بقوله (تسنمّتم العلياء) . ((أي بتلك الهداية وشرف الإسلام علا قدركم وشرّف ذكركم، ولمّا استعار وصف السنام للعلياء ملاحظة لشبهها بالناقة رشّح تلك الاستعارة بذكر التسنّم وهي ركوب السنام وكنّى به عن علوّهم))[4]. وكذلك قوله (عليه السلام)(**وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ**) إذ تقدم الضمير المجرور على الفعل لافادة القصر إذ ان فيه((اشارة الى خروجهم من ظلمة الجهالة المعبّر عنها بالسّرار الى ضياء دين الاسلام

---

١) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ٤/٤٣٥.

٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي‌الحديد:١/٢٠٧.

٣) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم:١/٢٧١.

٤) المصدر نفسه: ١/٢٧١.

واشتهارهم فى النّاس بعد الخمول))[1]. وقال (عليه السلام) ـ ايضا ـ ((**وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ**))[2] بتقديم الضمير المجرور(فينا) على الفعل (تنشبت) والضمير المجرور (علينا) على فعله (تهدلت) لافادة القصر؛ فقد ((أشار عليه السلام إلى نفسه وأهل بيته أنهم أمراء الكلام إذا تكلموا، إنهم يمتلكون نواصي البيان ويتصرفون فيه تصرف الملوك في أملاكها كناية عن امتلاكهم زمام الكلام يوردون المعنى الذي يريدون بأفصح بيان وأبلغ كلام والكلام أصل فينا وطبيعة من طبائعنا فنحن معدن الكلام ومنشأه وما عند الناس إنما هو شيء عنا فاض منا فأخذوه وتكلموا به))[3].

---

١) الدرة النجفية:٦٧.

٢) شرح نهج البلاغة:ابن أبي الحديد:١٢/١٣.

٣) شرح نهج البلاغة: السيد عباس:٨٨/٤.

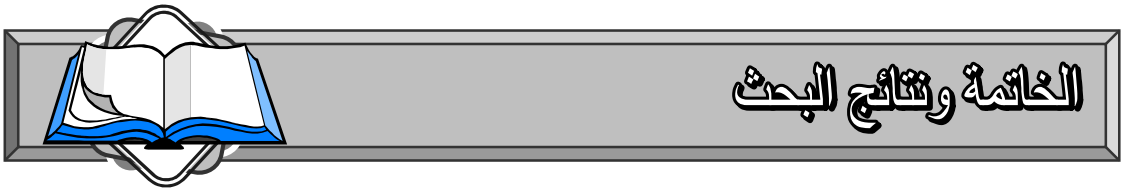

أسفر البحث في موضوع (أسلوب القصر في نهج البلاغة ـ دراسة بلاغية) عن عدد من النتائج والتوصيات، منها :

١ـ إن أسلوب القصر من أهم الأساليب وأكثرها قدرة على الجدل والاحتجاج والدعوة إلى الالتزام بمبادئ الشريعة والانتهاء عما يخالفها، بدليل كثرة استعماله في القرآن الكريم بل تكاد لاتخلو منه سورة من سور القرآن، وكذا هي الحال في نهج البلاغة إذ أكثر الإمام (عليه السلام) من استعمال أسلوب القصر بطرائقه المختلفة المخصوصة وغير المخصوصة.

٢ـ حين بدأت ـ بعون الله تعالى ـ باستقراء (النهج) بأجزائه العشرين، وجدت أنّ الإمام (عليه السلام) قد استعمل أسلوب القصر في مواضع كثيرة جدا؛ لأنّه من طرائق التوكيد في العربية التي تستعمل في المواطن التي تحتاج إلى تثبيت الكلام وتقويته في نفس المتلقي وإزالة ما قد يتسلل إليها من شكٍّ أو إنكار، وغالبا ما كان الإمام (عليه السلام) يعمد إلى تقوية كلامه وتوكيده لما يجده من عناد لدى أصحابه وميلهم إلى الجدال والمعارضة في أغلب مواقفهم معه (عليه السلام)؛ لذا كان أسلوب القصر أحد الأساليب البلاغية التي كان لها حضور ملحوظ، يكاد لايخلو منه نص من نصوص النهج، ولعله اكتسب هذا القدر من الحضور؛ على أنَّه من الأساليب الحجاجية التي استعملها الإمام (عليه السلام) والتي تتوافق مع منهجه (عليه السلام) الإصلاحي الذي يستند إلى تعاليم الإسلام، ودعوته المستمرة إلى الالتزام بأحكام الشريعة ومبادئها والانتهاء عما يخالفها من خلال تذكيره الدائم للعباد بالقرآن الكريم، بوصفه الأساس التشريعي الأول، وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) بوصفها الأساس الثاني.

٣ـ ذهب البلاغيون إلى تقييد (القصر) بطرائق مخصوصة لديهم وأخرجوا كلَّ ما أفاد القصر بغيرها، وقد أثبتوها في كتبهم، وهي:النفي والاستثناء، وإنما، والتقديم والتأخير، والعطف، وهذه هي المشهورة عندهم ؛ لأنَّ الطرائق الأخرى وإن أفادت معنى الاختصاص إلا أنّها خارجة عن المفهوم الذي اصطلحوا عليه للقصر، وقد وجدنا أنَّ الإمام (عليه السلام) قد استعمل طرائق القصر المختلفة المخصوصة وغير المخصوصة، عدا القصر بأدوات العطف (بل، ولا، ولكن)، فإنَّها لم ترد كثيرا، بل إنَّ(بل، ولكن) لم يردا عاطفين بمعنى القصر، أما (لا) فقد وردت في موضعين فقط.

وليس من شكٍّ في أنَّ لهذا الأمر سبباً، فالإمام (عليه السلام) أمير البلاغة، قادر على التحكم باللغة وتشكيلها بما يخدم المعنى ويقربه للمتلقي. وهو لم يستعمل (لا) العاطفة في غير هذين الموضعين وقد أفادت القصر فيهما؛ لأنَّها قد تفيد التوكيد وإثبات الحكم لما قبلها، لكنَّها لا تصرفه صرفا كليا عما بعدها، فضلا عن أنَّها لا تصرف ما عداه من الصفات، وهذا ـ والله اعلم ـ يخالف ما عليه الإمام من أسلوب في الخطاب، فكلامه (عليه السلام) واضح بيّن ذو وجه واحد، وغالبا ما يأتي كلامه (عليه السلام) في موضع العضة والتوجيه والإرشاد، وهو أمر لايضطلع به إلا من كان واثقا مما يقول ولايسمح بتعدد الاحتمالات؛ وتعدد الوجوه قد تكون سببا للتشتت، وهذا مبدأ من المبادئ القرآنية التي تربى عليها الإمام (عليه السلام)، مع أنَّ (لا) لم ترد عاطفة في موضع قصر في القرآن الكريم للأسباب التي ذُكرت ، أما عن مجيئها في هذين الموضعين وقد أفادت القصر فنرى أنَّها وردت كذلك؛ لأنَّ الحديث في هذين الموضعين عن أمور لعلها مما اتفق عليها الناس ولا جدال بينهم عليها، ففي الأول يتحدث الإمام عن الموت وهو أمر مفروغ منه لايحتمل النقاش، وفي الثاني ينهى عن السير في أول الليل نهي كراهة لاتحريم، وعلّل ذلك بقوله: إنَّ الله جعله سكنا وفيه إشارة إلى قوله تعالى﴿ 9 : ; ﴾ الانعام٩٦، ولعله ـ والله أعلم ـ استعملها ولم يقصد القطع أو الحسم في قضية

مهمة، فلم يرد بها القصر بمعناه الحقيقي، وكذا هي في الموضع الثاني إذ يتحدث عن نهاية كلِّ إنسان وهو من الأمور المعروفة.

أما (بل، ولكن) فإنَّهما وأن وردا في نهج البلاغة، ولكنهما لم يردا عاطفين بمعنى القصر، فـ(لكن) تفيد الاستدراك الذي يقع عادة من المتكلم لتصحيح الخطأ أو لإبعاد اللبس في الكلام، من دون أن تقصر الحكم على ما بعدها دون سواه، وهي لا تنفي الحكم نفيا قطعيا عمّا قبلها، وتثبته لما بعدها، وهذا ما لا يتفق مع أسلوب الإمام عليه السلام في الخطاب؛ لأنه في موضع التوجيه والإرشاد والنصح على وفق ثوابته التي لا تحتمل الخطأ؛ لذا لم يستعمل من الألفاظ إلا ما يعبّر عن أفكاره بدقة، ومما يعضد ذلك الاستعمال أنَّها لم ترد في القرآن بمعنى القصر، ولغة الإمام(عليه السلام) مستقاة بلا شك من لغة القرآن الكريم.

وما قيل في (لكن) يقال في (بل) إذ لم ترد عاطفة بمعنى القصر في النهج؛ لأنها تفيد الإضراب وليس كل إضراب يفيد القصر، وإن كان فيه معنى الحبس والتخصيص. وغالبا ما يأتي القصر بـ(بل) في المواضع التي تحتاج إلى إبطال المعطوف عليه لغلط في ذكر المعطوف أو للاحتراز عنه أو نسيان، وينبغي أن يعطف بها مفرد على مفرد، أما إذا جاءت لعطف الجمل فإنَّها تأتي لعطف ((كلام على كلام ، من دون ان يشرك طرفاه في الحكم وقد وردت في (النهج) لعطف الجمل فقط، كما هي الحال في القرآن الكريم.

٤ـ وتبين لنا من خلال الدراسة المعمقة للشواهد موضع الدراسة في هذا البحث أنَّ القصر الذي قسّمه البلاغيون على : إفراد وتعيين وقلب، وينظر فيه حال المخاطب، كان حاضرا بأقسامه الثلاثة غير أنَّ الغلبة كانت لقصر التعيين، يأتي بعده الإفراد ومن ثم القلب. ولعلَّ السبب في ذلك هو أنَّ الخطاب في نهج البلاغة موجه إلى قوم عاش بينهم الإمام (عليه السلام) وفهم تفكيرهم وكان يخاطبهم بخطاب يفهمه الجميع؛ غير أنَّ أغلبهم يكثر من الجدل والعناد ما يتطلب منه اللجوء التي التحذير والتنبيه من مخاطر تركهم لما يدعوهم إليه ويبين المساوئ التي قد تلحق بهم فيعينها مما يتطلب السياق وقد يدفعه الموقف إلى الإفراد أو القلب بحسب ما يقتضيه المقام.

٥ــ وتبين لنا ـ أيضا ـ من خلال الدراسة للشواهد القصرية التي وردت في نهج البلاغة أنَّ أسلوب النفي والإستثناء هو الأكثر استعمالا، ونرى أنَّ سبب ذلك يرجع إلى أنَّ الإمام غالبا ما يكون في موقف يتطلب منه النهي عن أمور تخالف الشريعة والدعوة إلى أمور أخرى يرى فيها صلاحا للعباد، فضلا عن أنَّ كثيرا من الشواهد كانت في التعبير عن التوحيد وقصر الإلوهية والعبادة على الله تعالى، والنفي والاستثناء من أكثر الأساليب قدرة على التعبير عن تلك المعاني لما فيه من القوة التي يمنحها تعاضد النفي مع الاستثناء، تأتي بعده الأداة(إنما) لأنَّها ـ كما يرى الجرجاني ـ متضمنة معنى النفي والاستثناء، ثمَّ أسلوب التقديم والتأخير الذي كان حاضرا أيضا بسماته الاسلوبية المميزة، ولم نجد لأسلوب القصر بأدوات العطف شواهد عدا ما ذُكر، لأنَّه لايتوافق مع منهج الإمام الخطابي.

٦ـ توزعت المعاني التي خرج اليها القصر بـ(انما) بين ثلاثة معان ذكرها الاستاذ محمد عبد الخالق عظيمة في كتابه دراسات لاسلوب القرآن الكريم هي: تقليل الشيء وتحقيره، والاقتصار على الشيء،ورد الشيء الى حقيقته.

٧ـ إنّ نهج البلاغة من النصوص التي كان للسياق أثر بيّن في التوصل الى الدلالة التي عُنيَ الإمام (عليه السلام) بإيصالها إلى المتلقي، ونقصد بالسياق ــ هنا ـ الركنين الرئيسين المعبر عنهما بـ(المقام والمقال)، فلا غنى لأحدهما عن الآخر في بيان الدلالة، فالمقام الذي يتبين في النظم ومراعاة التراكيب النحوية مع ما تؤديه الألفاظ من دلالات، لايمكن أن تدرس خارج البيئة التي قيلت فيها مهما كانت على درجة عالية من الأداء ؛ لأنّها بيئة يتفاعل فيها المتحدث مع المخاطَب؛ إذ ينبغي مراعاة((ما بينهما من عرفٍ سائد يحدد مدلولات الكلام،.... فمعرفة قصد المتحدث وحال المخاطب من وسائل فهم سياق المقام)) وقد لمسنا ذلك على نحو واضح عندما تعاملنا مع خطب نهج البلاغة؛ ودفعنا إلى عدم الاكتفاء بالجمل

موضع الشاهد، بل حرصنا على إبقاء شيءٍ مما يسبق محل الشاهد وما يتبعه، إيمانا منا بأهمية السياق في فهم النص؛ لأنَّ الخطب والرسائل والكتب التي اشتمل عليها نهج البلاغة من النصوص التي صدرت عن قائل لا يتكلم جزافا ولا يرصُّ الألفاظ اعتباطا، بل إنَّها تصدر بوحي من الموقف الذي تقتضيه. ولاشك في أنَّ لذلك الموقف أو تلك الحادثة اثراً في فهم دلالة النص.

التوصيات:

إن مدارسة النصوص ذات الطابع الديني والاجتماعي لشخصيات إسلامية عرفت بالاستقامة وتزينت بالتقوى ـ وهي كثيرة في تراثنا العربي ـ أجدى وأجدر أن يبحث فيها الدارسون، فنحن الآن بحاجة إلى أن يبحث طلاب العلم في التراث العربي عن شخصيات إسلامية عرفت بإسلامها الصحيح في زمن كثرت فيه الفتن؛ ليستمد منها القدرة والقوة على مجابهة إغراءات الحياة مثلما تمكنوا هم من محاربتها في أزمانهم، وهذه هي الغاية السامية والأساس التي ينبغي على الباحث المسلم أن يبحث عنها.

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب.

١ــ الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا ـ بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢ـ اختيار مصباح السالكين: ميثم بن علي بن ميثم البحراني، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد،١٤٠٨هـ .

٣ـ أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية،١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م.

٤ــ أساليب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية، الدكتور عامر بن عبد الله الثبيتي، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ــ السعودية،١٤٢٥هـ .

٥ــ أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: الدكتور صباح عبيد دراز، الطبعة الأولى، مطبعة الأمانة، مصر١٩٨٦م.

٦ــ الاستغناء في أحكام الاستثناء: شهاب الدين القرافي (ت ٦٨٢هـ)، تحقيق: الدكتور طه محسن، مطبعة الإرشاد، بغداد،١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٧ــ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة،١٩٩١م.

٨ ـ إلاعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، الدكتور عبد الحميد احمد يوسف هنداوي، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٩ــ إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الطبعة الثانية، مطبعة سليمان زاده، إيران،١٤٢٨هـ .

١٠ـ الإنسان الكامل في نهج البلاغة: حسن حسن زاده الآملي، ترجمة: عبد الرضا افتخاري، الطبعة: الأولى، مؤسسة المعارف الإسلامية.

١١ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط٦، ١٩٨٠م، ٢٤٦./١

١٢ـ الإيضاح في شرح المفصل: أبو عمرو عثمان بن عمرو بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد،١٩٨٢م.

١٣ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٩٧٩م.

١٤ـ البلاغة الاصطلاحية: الدكتور عبده عبد العزيز قليقلة، مطابع الدجوي،القاهرة، عابدين، دار احتمال ،١٩٨٦م.

١٥ـ بلاغة الإمام علي: الدكتور احمد محمد الحوفي، الطبعة الثالثة، د. مط، مصر،٢٠٠٥م.

١٦ـ بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: علي ابو القاسم عون، دار المدار الاسلامي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م.

١٧ـ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد نقي التستري، الطبعة الاولى، دار امير كبير، طهران، ايران،١٤١٨هـ .

١٨ـ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد بهجة الأثري، عبد الستار احمد فراج، دار الجيل، مطبعة حكومة الكويت،.١٩٦٨

١٩ـ تصنيف نهجالبلاغة: لبيب بيضون، الطبعة الثالثة، مركز النشر التابع لمركز الاعلام الاسلامي، قم،١٤١هـ .

٢٠ـ التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الزهراء،١٤٢٩هـ .

٢١ـ تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين: السيد الرضي، تحقيق السيد محمد جواد التهراني، الطبعة الاولى، منشورات بيام حق، طهران،١٣٢٠هـ .

٢٢ـ توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي ، الطبعة الاولى، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م.

٢٣ـ الجملة الفعلية، الدكتور علي أبو المكارم، الطبعة الاولى،مؤسسة المختار، القاهرة،٢٠٠٠م.

٢٤ ــ جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)،علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١,١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٥م

٢٥ـ حاشية السيالكوتي على كتاب المطول للتفتازاني، عبد الحكيم بن شمس الدين، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية،٢٠١٢م.

٢٦ـ حدائقالحقائق في شرح نهج البلاغة: قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الاولى، مؤسسة نهج البلاغة، قم،١٤١٦هـ .

٢٧ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي،(ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هاون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.

٢٨ــ الخصائص:ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب المصرية، بيروت ـ لبنان، د.ت.

٢٩ــ دائرة المعارف الاسلامية: حسن الامين، دار الروضة للطباعة والنشر،١٩٩٧م.

٣٠ــ دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين، الطبعة الثالثة، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،١٩٨١م.

٣١ـ الدرة النجفية: ابراهيم بن حسن الخوئي، كتاب الكتروني ضمن برنامج منهج النور حول نهج البلاغة.

٣٢ـ دلائل الاعجاز:عبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٣ـ دلالات التراكيب دراسة بلاغية: د. محمد محمد ابو موسى مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة الثانية،١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٤ـ ديوان الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة ابو فراس الفرزدق، تحقيق علي فاعور، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية،١٩٨٧م.

٣٥ـ ديوان المتنبي شرح البرقوقي: عبد الرحمن البرقوقي الطبعة الاولى، دار الكتاب العربي٦،دار بيروت للطباعة والنشر،1986م.

٣٦ـ ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.
٣٧ـ ديوان عمرو بن معد يكرب: تحقيق مطاع الطرابيشي، الطبعة الثانية، مجمع اللغة العربية، دمشق،١٩٨٥م.
٣٨ـ السيرة الحلبية: علي بن برهان الدين الشافعي وبهامشها السيرة النبوية والاثار المحمدية: السيد احمد زيني، الطبعة الثالثة، المطبعة الازهرية في مصر،١٩٣٢م.
٣٩ـ شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تح: د. حسن ابراهيم الحفظي، ادارة الثقافة والنشر الجامعية.
٤٠ـ شرح حكم نهج البلاغة: الشيخ عباس القمي، دار الأنصار ، قم المقدسة.
٤١ـ شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ، تحقيق احمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م.
٤٢ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: الأعلم الشنتمري تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة ، بيروت،١٩٨٠م.
٤٣ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب:ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة العاشرة، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
٤٤ـ شرح قطر الندى وبل الصدى: عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.
٤٥ـ شرح نهج البلاغة السيد محمد كاظم القزويني، د.ط، مطبعة النعمان، النجف الاشرف،١٣١٨هـ .
46ـ شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،١٩٦٢م.
٤٧ـ شرح نهج البلاغة: سيد عباس علي الموسوي، الطبعة الاولى،دار المحجة البيضاء،١٩٩٨م.
٤٨ـ شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي البحراني، الطبعة الاولى، دار الثقلين للطباعة، بيروت ـ لبنان،١٩٩٩م.

٤٩ــ شروح التلخيص: مختصر العلامة سعيد التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني: ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: لابن يعقوب المغربي، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، د. ت.

٥٠ــ الحاشيه على شرح التلخيص المختصر للسعد التفتازاني: ، ياسين بن زين الدين العليمي

٥١ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:ابن فارس، تحقيق احمد حسن بسج، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٥٢ــ الصحاح: معجم الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت،٢٠٠٨م.

٥٣ــ صوت الإمام علي في نهج البلاغة، السيد حسن علي القبانجي، كتاب الكتروني، المكتبة المختصة، مكتبة الروضة الحيدرية.

٥٤ــ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥ـ عقود الجمان في علم المعاني والبيان:الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١)هـ، وهو نظم لكتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزويني المتوفى سنة (٧٣٩)هـ، كتاب الكتروني، موقع الانترنت.

٥٦ـ فُرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه: أبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني،تحقيق محمد علي سلطاني، الطبعة الاولى، دار النبراس.

٥٧ـ فن البلاغة، د. عبد القادر حسين ،دار الغريب للطباعة والنشر،٢٠٠٥م.

٥٨ـ الفوائد الغياثية في علوم البلاغة، عضد الدين الايجي، تحقيق عاشق حسين، الطبعة الاولى، دار الكتاب المصري ، القاهرة ـــ دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٩١م.

٥٩ـ في رحاب نهج البلاغة: الشهيد مرتضى مطهري، الطبعة الأولى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٢م.
٦٠ـ في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد: الشيخ محمد جواد مغنية، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٩م.
٦١ـ في النحو العربي . قواعد وتطبيق، الدكتور مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
٦٢ـ في النحو العربي نقد وتوجيه: الدكتور مهدي المخزومي، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت،١٩٨٦م
٦٣ـ القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة الثامنة، الناشر : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥.
٦٤ـ الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة الأولى، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م.
٦٥ـ الكافي في علوم البلاغة العربية: المعاني ـ البديع ـ البيان، الدكتور عيسى علي العاكوب والأستاذ علي سعد الشتيوي، الجامعة المفتوحة،١٩٩٣م.
٦٦ـ كتاب سيبويه: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ(سيبويه)(ت ١٨٠هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٦، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦م.
٦٧ـ كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٦٨ـ الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل:جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وبذيله (الانتصاف) للامام احمد بن المنير الاسكندري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، د.ت.

٦٩ـ لسان العرب، ابن منظور، اعتنى بتصحيحها، أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
٧٠ـ المثل السائر المؤلف: ضياء الدين بن الأثير تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد طبع بمطبعة مصطفى بابي الحلبي سنة ١٩٣٩
٧١ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ ابو علي الفضل بن حسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)و وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه، هاشم الرسولي المحلاتي، دار احياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان،١٣٧٩م.
٧٢ـ محاضرات في تاريخ البلاغة العربية، عبد الرحمن الكردي:
٧٣ـ المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل(ابن سيده)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،٢٠٠٠م.
٧٤ـ مختصر المعاني:سعد الدين التفتازاني، مؤسسة دار الفكر، الطبعة الخامسة، مطبعة قدس، قم ـ ايران،١٣٨٣هـ .
٧٥ـ المدخل إلى دراسة البلاغة العربية: احمد خليل، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،١٩٦٨م.
٧٦ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٧٧ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، الطبعة الثالثة، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت لبنان ، ١٩٨٥.
٧٨ـ المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين ابن مالك المشهور بابن الناظم، تحقيق الدكتور حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الاداب، مصر.
٧٩ـ المطول: محمد تقي الخوانساري التفتازاني ، طبعه دار الانطباع، ١٢٧٣هـ .
٨٠ـ معاني الأبنية العربية: الدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثانية، دار عمار، الاردن، ٢٠٠٧م.
٨١ـ معاني القرآن: الاخفش الأوسط، ، تحقيق: فائز فارس، الطبعة الثانية، الشركة الكويتية، ١٩٨١م.

٨٢ـ معاني القرآن: الفراء، تحقيق احمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٨٣ـ المعاني في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين،الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي.
٨٤ـ معاني النحو: الدكتور فاضل السامرائي، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر،٢٠٠٣م.
٨٥ـ معترك الإقران في اعجاز القرآن: السيوطي، تحقيق: علي نحند البجاوي دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، مصر، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م.
٨٦ـ معجم الفروق اللغوية: ابو هلال العسكري، تحقيق وطبع مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الثالثة،١٤٢٦هـ .
٨٧ـ المعجم موضوعي لنهج البلاغة: إعداد أويس كريم محمد،الطبعة الاولى، مجمع البحوث الاسلامية ، ١٤٠٨ هـ.
٨٨ـ معجم وسيط للغة العربية، عبد الله البستاني، بيروت ـ لبنان،١٩٨٠م.
٨٩ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ابن هشام الانصاري(٧٦١هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، اشرف عليه وراجعه: د. اميل بديع يعقوب، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٩٠ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ابن هشام الانصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الاولى، مؤسسة الصادق، طهران.
٩١ـ مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: السيد محمد تقي النقوي، الطبعة: الاولى، الناشر: انتشارات قائن.
٩٢ـ مفتاح العلوم: ابو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق وتقديم وفهرسة: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠م.
٩٣ـ المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجانيّ ، تحقيق كاظم المرجان، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع،١٩٧٥م.

٩٤ــ المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،١٩٧٩.
٩٥ــ من اسرار اللغة:الدكتور ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.
٩٦ـ من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: عبد العزيز عبد المعطي عرفه،عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٤.
٩٧ــ منهاجالبراعة (شرح نهج البلاغة): ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي،تحقيق: علي عاشور،الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي،٢٠٠٨م.
٩٨ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين ابي الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي(ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، اهتمام السيد محمود المرعشي، د.ط، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٦هـ .
٩٩ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ابو العباس احمد بن محمد بن يعقوب المغربي، تحقيق خليل ابراهيم خليل،دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٠٠ـ نتائج الفكر في النحو:ابو القاسم عبد الرحمن عبد الله السهيلي، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية ــ بيروت،١٩٩٢م.
١٠١ـ في نحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي للنشر والتوزيع،٢٠٠٥م.
١٠٢ـ النظام التربوي في الإسلام: باقر شريف القرشي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت. ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
١٠٣ـ النظرية اللغوية العربية الحديثة: الدكتور جعفر دك الباب،اتحاد الكتاب العرب للنشر والتوزيع، سورية،١٩٩٦م.
١٠٤ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥ م.

١٠٥ـ نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بمساعدة مجموعة من الفضلاء: محمد جعفر الامامي، محمد رضا الاشتياني، محمد جواد ارسطا، ابراهيم البهادري، سعيد داودي، احمد القدسي، اعداد: عبد الرحيم الحمراني ، الطبعة: الاولى، الناشر: مدرسة الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام، دار جواد الائمة عليه السلام،١٤٢٦هـ .

١٠٦ــ نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز: فخر الدين الرازي محمد بن عمر، تحقيق وتقديم: الدكتور ابراهيم السامرائي، محمد بركات حمدي ابو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ـ الاردن، د.ت.

١٠٧ــ نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية (مجموعه مقالات): عده من العلماء الاعلام، الطبعة الاولى، مؤسسة نهج البلاغة، طهران ـ ايران.

١٠٨ــ نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية: مجموعة بحوث ومقالات قامت مؤسسة نهج البلاغة في طهران بطبعها سنة ١٤٠٤ هـ .

١٠٩ــ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، تحقيق: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان،الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م.

١١٠ــ الوافي: معجم وسيط للغة العربية، عبد الله البستاني، بيروت ــ لبنان،١٩٨٠م.

١١١ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الفقيه المحدّث الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر :مؤسّسة آل البيت عليهم السّلام لإحياء التراث، الطبعة :الأولى، قمّ المشرّفة، ١٤٠٩ هـ.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

١ـ الادوات البيانية في خطب الحرب في نهج البلاغة، نجلاء عبد الحسين الغزال، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الاداب، ٢٠٠٢م.

٢ــ اساليب التأكيد في نهج البلاغة، اصيل محمد كاظم، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠٠٢م.

٣ــ اساليب الطلب في نهج البلاغة، عدوية عبد الجبار كريم الشرع، رسالة ماجستير، جامعة بابل، ٢٠٠٠م.

٤ــ الاستثناء ومعالمه بين القاعدة النحوية والواقع ألاستعمالي من خلال معلقات العرب العشر، خالد صالح الشراري، أطروحة دكتوراه، إشراف أ. د. محمد أمين احمد الروابدة، جامعة مؤتة، ٢٠١١.

٥ـ التوابع في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية، وداد حامد عطشان السلامي، رسالة ماجستير اشراف: الاستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، كلية الاداب ـ جامعة الكوفة،٢٠٠٧م.

٦ــ خصائص الجملة في نهج البلاغة، سمير داود سلمان، رسالة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الاداب،٢٠٠٣م.

٧ـ القصر واساليبه مع بيان اسرارها في الثلث الاول من القرآن الكريم، نجاح احمد عبد الكريم الظهار، اشراف: الدكتور علي محمد حسن العماري، رسالة ماجستير في البلاغة العربية، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، ١٩٨٣م.

٨ـ المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة ــ دراسة موازنة ــ جنان ناظم حميد

٩ــ المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة ــ دراسة موازنة ــ جنان ناظم حميد مجيد الدليمي، رسالة ماجستير اشراف الاستاذة الدكتورة خديجة زبار عنيزان الحمداني، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد،٢٠٠٩م.

رابعا: البحوث:

١ـ تجليات الجمال في اسلوب القصر: الدكتور عبد الرحيم الهيبل، مجلة الجامعة الاسلامية، سلسلة الدراسات الانسانية، المجلد التاسع، العدد الثاني عشر،٢٠١١م.